الإمام

الحارث بن أسد المحاسبى متكلما

بقلم

د/ راشد محمد راشد سليمان
مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية

الحمد لله ، نور السماوات والأرض يهب الحكمة لمن يشاء من عباده فيصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه مشكاة الهدى ومنارة العارفين ورائد المفكرين إلى رحاب المعرفة واليقين برب العالمين وعلى آله وإخوانه من الأنبياء والمرسلين وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

إن الإمام المحاسبي هو أحد الأئمة الإعلام الذي نذر حياته في سبيل الله وتصدى للطوائف المنحرفة عن المنهج الحق فبين ماالديها من زيف وضلال وجادل بالحق والبرهان متبعا منهج سلف الأمة الصالح من لدن صحابة رسول الله صلى الله وعليه وسلم ومن تبعهم بإحسان فاثرى المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب التى توضح منهج السلف الصالح وما كانوا عليه فى الاعتقاد والعبادة والتشريع ومحاسبة النفس ووصف العلاج لأمراضها وطرق مجالات عدة أبرزها فى محاسبة النفس ووصف الطريق للسالكين إلى رحاب المعرفة برب العالمين وقد عودى من أصحاب الاراء الضالة وشوهت كتبه ومؤلفاته واندرس كثير منها ولم تلحق من الاهتمام والنشر مالقيته كتب غيره من العلماء.

ومنذ عهد قريب سطع على الوجود بعض كتبه فقام بتحقيقها نخبة من العلماء الأجلاء إلا أن هذه الكتب كلها تشتمل على منهجه فى محاسبة النفس والتوبة وغيرها من أبحاث التصرف ولم يظهر إلى الوجود الكتب التى تشتمل على منهجه الكلامى - العقائدى - إلا منذ سنوات قليلة - فقد ظهر لنا من كتبه العقائدية كتابان الأول بعنوان مائين العقل والثانى بعنوان فهم القرآن.

والمحاسبى فى هذين الكتابين له منهجه الفريد الذى يختلف فيه عن غيره منهج متميز قائم على فهم القرآن الكريم واستنباط الأدلة منه فهم العالم المدقق ثم هو فى إستدلالاته ينصر مذهب السلف ولا يحيد عنه بل يؤيده . بالعقل والمنطق السليم ويدفع الشبه التى أثارها أعداء الإسلام ضد العقيدة الإسلامية.

ومأحوج العالم الإسلامى اليوم أن يعود إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيقرأ القرآن ويتدبر آياته ويفهم مافيه من معان ويدرس السنة النبوية دراسة متأنية فهى المعين الذى لا ينضب.

والمحاسبى أحد هؤلاء الإعلام الذين إستقوا عقائدهم من فهمهم للقرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة لذلك أثرت أن يكون هذا البحث بعنوان الإمام الحارث ابن أسد المحاسبى متكلما فهذا الجانب لم يتوجه أحد بدراسته بعد .

على أن هذه الدراسة ليست شاملة لكل ماطرحه الإمام المحاسبى من مسائل كلامية ولا كل ماعالجه من مشكلات عقائدية إنما توجهت بهذه الدراسة لكى ألفت الأنظار فقط إلى أن يتجهوا لدراسة الجانب العقائدى لمثل هؤلاء الإعلام وبذلك نعود بدراستنا إلى القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد قسمت هذا البحث إلى قسمين :

القسم الأول : تحدثت فيه عن حياة الإمام المحاسبى .

القسم الثانى : تحدثت فيه عن منهج المحاسبى فى علم الكلام .

وفى هذا القسم تعرضت لأهم المسائل الكلامية والتى أثارتها الفرق الموجودة آنذاك واتجه المحاسبى فذكر شبههم ورد عليهم وهذه المسائل هى :

١- المعرفة ٢- الذات والصفات ٣- قضية النسخ ٤- خلق القرآن

والكتابان يشتملان على مسائل كثيرة لا يتسع لها مثل هذا البحث بل ربما أن هناك كتب أخرى لازالت مطمورة ولم تتهيأ الظروف لاخراجها .

والله أسأل أن يعلمنا ماجهلنا وأن ينفعنا بما علمنا .

انه سميع قريب مجيب الدعاء .

التعريف بالإمام المحاسبي

نسبه ومولده

هو الإمام أبوعبدالله بن أسد العنزى ويكنى بالمحاسبي وهو عربي الأصل حيث إن والده أسد العنزى من العرب كما أخبر بذلك بعض الباحثين(١).

اختلف الباحثون في تحديد زمن ولادته وجل الآراء تميل أنه ولد في العقد السابع من القرن الثاني للهجرة النبوية.

أما وفاته فإن الكتب القديمة التي أرخت له تجمع أن وفاته كانت سنة ٢٤٣هـ وكانت وفاته ببغداد وفيها دفن.

يحدثنا الإمام القشيرى عنه فيقول [أبوعبدالله الحرث بن أسد المحاسبي عديم النظير في زمانه علما وورعاً ومعاملة وحالا. بصرى الأصل مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ قيل إنه ورث عن أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئاً وقال صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يتوارث أهل ملتين شيئاً»(٢).

ويقول عنه إبن النديم [الحارث بن أسد المحاسبي البغدادى من الزهاد المتكلمين على العبادة والزهد في الدنيا والمواعظ وكان فقيها متكلما مقدما . . .](٣).

ويقول عنه الحافظ شمس الدين الذهبي [الحارث بن أسد المحاسبي أبوعبدالله البغدادى الصوفى الزاهد العارف صاحب المصنفات في أحوال القوم..](٤).

من خلال هذه النصوص أستطيع أن أقول بأن هناك إتفاق من المؤرخين على تحديد زمن وفاته وأن هناك إختلاف بينهم في أصله هل هو بصرى ؟ أم هو بغدادي؟.

الحقيقة التي لا شك فيها أن المحاسبي بصرى الأصل وذكر الإمام القشيرى ذلك أما ماذكره إبن النديم وتابعه فيه الحافظ الذهبي فهو نسبه إلى البلدة التي توفى فيها والدليل على ذلك أن الإمام القشيرى هو الوحيد الذى تفضل علينا ببيان أصله ومكان وفاته أما إبن النديم والحافظ الذهبي فإنهما لم يذكرا لنا شيئا عن ذلك سوى أنه بغدادي.

---

(١) مقدمة كتابي العقل وفهم القرآن للدكتور حسين القوتلي دار الفكر العربي الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢م.

(٢) الرسالة القشيرية الإمام القشيرى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٩م ص ١٢ ، ١٣.

(٣) الفهرست لابن النديم الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت سنة ١٩٧٨م ص ٢٦١.

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير للحافظ شمس الدين الذهبي حوادث سنة ٢٤١ إلى سنة ٢٥٠ دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ص ٢٠٥.

ويؤيد ذلك ماذكره الدكتور حسين القوتلي عنه أنه رحل من البصرة إلى بغداد مع أسرته وهو فى صغره وهذا يدل على أنه بصرى الأصل أيضا[1].

ومانذكره الإمام القشيرى عنه يعطينا الملامح العامة لحياة الإمام المحاسبى وذلك لفقدان الآثار التى تحدثنا عن حياته وعن رحلاته فى طلب العلم وفى نشر المعرفة ولذا فسيكون ماذكره الإمام القشيرى عنه هو العمدة فى بيان بعض الملامح الشخصية لحياة الإمام المحاسبى.

أسـرتـه :

إذا أردنا أن نتعرف على أسرة الإمام المحاسبى فالقشيرى بين لنا أن أسرته كانت أسرة ميسورة الحال حيث يقول [ورث عن أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها شيئا قيل لأن أباه يقول بالقدر][2].

وماذكره القشيرى فإنه يشير إلى عدة ملاحظات :

الملاحظة الأولى : أن أسرة الإمام المحاسبى كانت أسرة تعيش عيشة مترفة وفى رغد من العيش.

الملاحظة الثانية : أن أباه كان على ثقافة عالية ومكانة علمية لا يستهان بها وأنه كان على صلة وطيدة بالخليفة العباسي أنذاك ويدل على ذلك ماقاله القشـــيرى عن أبيه أنه كان قدريا أى يقول بالقدر أى أنه كان يميل إلى الاعتزال إن لم يكن من رجالهم ولا يقول بالقدر ولا يؤيد المعتزلة في معتقداتهم إلا ممن هو ذو فكر جيد وصاحب عقل راجح وصاحب حجة قوية بها يستطيع أن يدافع عن معتقده يقول الدكتور عبدالحيم محمود [إن والد المحاسبي كان من الذين إشتركوا فى الثقافة الدينية والجدل الكلامى وساهم في ذلك بنصيب وحدد العسكر الذي يقف جنديا في جيشه ومامن ريب في أن العامة حينئذ لم يكونوا فى صف المعتزلة وماكان الذى يدين بما يدين المعتزلة يفعل ذلك إلا بعد دراسة متأنية وإختيار وأن الطريق التقليدى الذي كان يتبعه الجمهور الأعظم من الأمة إنما هو طريق أهل السنة][3].

الملاحظة الثالثة : أن الإمم المحاسبى قد شب على كراهيته لرجال المعتزلة والفكر الاعتزالى وذلك لأن أمه كانت عدوة للقدرية فضلا عن تتلمذه على يد رجال الحديث ثم على يد الفقهاء وهؤلاء وأولئك كانت كراهيتهم للمعتزلة معلومة والذى يدل

---

(٢) الرسالة القشيرية صـ ١٢ . (١) أنظر مقدمة كتابيفهم القرآن والعقل صـ ١٨ .

(٣) إسناد السائرين (المحاسبى) الدكتور عبد الحليم محمود دار المعارف سنة ١٩٩٢ صـ ٩ .

على أنه كان يكره المعتزلة وفكرهم ماوراه الخطيب البغدادى حيث يقول [... رأيت أباعبدالله الحارث بن أسد المحاسبى بباب الطاق فى وسط الطريق متعلقا بأبيه والناس قد اجتمعوا عليه وهو يقول له : طلق أمى فإنك على دين وهى على غيره](١). بل إن شدة كراهيته للفكر الاعتزالى ولرجال المعتزلة جعله يترك ماله الذى ورثه عن أبيه بحجة أن أباه على دين وهو على غيره وقد تركه مع شدة حاجته له.

يقول الإمام القشيرى عنه [فرأى أن لا يأخذ من ميراثه شيئا وقال صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يتوارث أهل ملتين شيئا سمعت ... محمد بن مسروق يقول مات الحرث بن أسد المحاسبى وهو محتاج إلى درهم وخلف أبوه ضياعا وعقاراً فلم يأخذ منه شيئاً](٢).

وقال عنه الجنيد [مات والد الحارث يوم مات وإن الحارث محتاج إلى دانق وخلف مالا كثيراً فما أخذ منه الحارث حبه وقال أهل ملتين لا يتوارثان وكان أبوه واقفيا يعنى يقف فى القرآن لا يقول مخلوق ولا غير مخلوق](٣).

ويقول الدكتور حسين القوتلى [ونشأ الحارث فى بحبوحة من العيش فى تلك البيئة المثقفة ويظهر أنه كان يميل إلى أمه أكثر من أبيه إذ أنه من المعروف المعتزلة كانوا يكرهون المحدثين فلم يكن تنتظر والحالة هذه أن ينصرف الحارث إلى حلقاتهم ومع ذلك فإن هناك إشارات فى فهم القرآن تدل على أنه أقبل فى وقت مبكر من حياته ينهل العلم من رجال الإسناد](٤).

من خلال هذه النصوص أستطيع أن أقول بأن الحارث نشأ فى عيشة مترفة وفى بحبوحة من العيش وهذا هو ماأجمع عليه العلماء ولكنهم إختلفوا فى عقيدة أبيه فذهب القشيرى إلى أن أباه كان قدرياً وذهب الحافظ الذهبى إلى أنه كان واقفيا وأيا كان مذهب والده فإن هذا لا يعطينا التفسير الحقيقى لعداوته لأبيه وترك ماله وتعلقه بأبيه فى باب الطان ببغداد وطلبه منه أن يطلق أمه.

أقول إذا كان الإمام المحاسبى قد ترك مال أبيه فلم يأخذ منه شيئاً فإن ذلك من قبيل التشدد فى الورع لا من قبيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا توارث بين أهل ملتين وقد تكون هذه الرواية التى رويت عن المحاسبى غير صحيحة

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ ٨ صـ ٢١٤ المكتبة السلفية بدون تاريخ.

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٢ ، ١٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبى حوادث سنة ٢٤١ ص ٢٠٦.

(٤) مقدمة العقل وفهم القرآن صـ ١٣.

ومما يؤيد ذلك أن المحاسبى نفسه فى مناقشاته للمعتزلة والرافضة فى كتابه فهم القرآن لايكفرهم ولا يرميهم بالكفر بل إنه يكتفى بتبديعهم يقول المحاسبى [وقد ناول بعض من يدعى السنة وبعض أهل البدع ذلك على الحدوث فأما من إدعى السنة فأراد إثبات القدر ... وأما بعض أهل البدع فزعموا أن الإرادة أنما هى خلق حادث وليست بمخلوقه](١). ويقول فى حديثه عن قضية خلق القرآن ... [ولقد جامعنا

قوم من أهل الضلال على ذلك لئلا يقع النسخ من الله عز وجل فى أخباره... ثم جهلوا إذا أرادوا أن يقووا رأيهم بأن كلام الله مخلوق ...](٢).

فالإمام المحاسبى فى مناقشاته للروافض والجهمية والحشوية والمعتزلة لا يكفرهم ولا يرميهم بالكفر بل إنه يكتفى بأن يقول إنهم على ضلال وانهم ابتدعوا فى الدين ماليس فيه وإذا كان هذا الأمر مع المخالفين له فى المذهب فهل يصح من عاقل فضلا عن كونه إماما للمسلمين أن يرمي أباه بالكفر وأن يترك ماله لأن أباه على دين وهو على غيره ؟.

طفـــولتـــه :

لم يذكر لنا الإمام القشيرى ولا المؤرخين لحياة المحاسبى شيئاً عن طفولته وكل ماذكر عن طفلوته فهو من قبيل الظن والتخمين.

وأستطيع أن أتصور أنه تعلم فى صباه كما يتعلم أبناء المسلمين القراءة والكتابة وبعض النحو والعربية وحفظ القرآن وبعض الحديث والفقه وهذا هو المنهج الابتدائى الذى جرت العادة أن يتعلمه جميع الصبيان.

ولعل من أسرار تقدم الحضارة العربية وازدهارها أن التعليم كان حرا من كل قيد اللهم إلا الميل والرغبة. هذا يهوى العلوم الشرعية فيتجه اليها وذاك يعشق الحديث فيرحل لطلبه من رجاله وثالث يميل إلى علم الكلام أو التصوف أو الطب أو الرياضيات فيتعمقها وأفضل دراسة ماكانت عن ميل أصيل فى النفس.

وقد مالت نفس المحاسبى إلى الاتجاه إلى دراسة علم الحديث والاسناد وذلك واضح من روايته الحديث عن رجال الاسناد كما ذكر هو ذلك في كتابه فهم القرآن ثم إتجه إلى علم التصوف فدرسه دراسة وافية وكانت له مكانة عالية وحكمة بالغة ثم درس علم الكلام وكانت له مناقشة مع الفرق الكلامية والتى كانت موجودة

(١) فهم القرآن للمحاسبى صـ ٣٤٢ . (٢) المرجع السابق صـ ٣٦٢ .

آنذاك.

يقول الدكتور عبدالحليم محمود {وحياته الشخصية لا نعلم عنها شيئاً وقد يمكننا أن نقول إستنتاجاً إنه قضى طفولة في شيء من اليسر والرخاء ذلك أن والده حينما توفي ترك له ثروة تقدر بسبعين ألف درهم}(١).

ثم رحل مع أسرته إلى بغداد وهناك إتسعت مداركه ومالت نفسه إلى معرفة المزيد من العلوم والمعارف وهو في قبلة الطالبين للعلم والمعرفة آنذاك.

يقول الدكتور القوتلي {ونحن لا نعرف الشيء الكثير عن وقائع حياته الأولى إلا خروجه من البصرة إلى بغداد في صغره وربما كانت تلك رحلته الأولى .. كما أننا نستطيع أن نخمن من رواياته عن هذه الكثرة من المحدثين أنه قضى شبابه في بيئات المحدثين والفقهاء مما سيكون له أثره العميق في إتجاهه بعد ذلك}(٢).

كنيتـــــه ولقبـــــه :

أما عن تلقيب الحارث - بالمحاسبي - فقد يكون عائدا إلى شدة محاسبته نفسه أو لأنه كان له حصى يعدها ويحسبها عند الذكر(٣).

ويروى لنا الإمام القشيرى كان لا يأكل طعاما فيه شبهة حيث يقول {كان المحاسبي إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فكان يمتنع منه}(٤).

ويروي لنا الإمام القشير أنه والخطيب البغدادى والحافظ الذهبي عن الجنيد أمراً آخر هو أن الطعام الذى فيه شبهة إذا قدم للمحاسبي فأكل منه لم يستطع بلعه ويقول المحاسبي في ذلك - أن بيني وبين الله علامة أن لا يسوغني طعاما فيه شبهة فلم يمكنني إبتلاعه(٥).

وسواء أكانت العلامة بينه وبين الله عرق في إصبعه أو علة في بلعومه أو شم رائحة نتنه فيه فلم تقبله النفس فإن هذا إذا صح فإنه يدل على مبلغ ورعه وشدة محاسبته لنفسه وعلى تورعه عن الشبهات ويكفي أن نعلم أنه ترك مال أبيه مع شدة حاجته إليه شدة في الورع.

(١) إسناد السائرين صـ ٨ .

(٢) مقدم فهم القرآن والعقل صـ ١٨ .

(٣) السابق صـ ٢٠ .

(٤) الرسالة القشيرية صـ ١٣ .

(٥) انظر الرسالة القشيرية صـ ١٣ ، تاريخ بغداد جـ ٨ صـ ٢١٣ ، ٢١٤ ، وتاريخ الإسلام صـ ٢٠٧ .

مكـانتـه العلميـــة :

ذكر لنا الإمم القشيرى مكانة الإمام المحاسبى العلمية وبينها حيث قال عنه {عديم النظير في زمانه علما وورعا ومعامله وحالا}(١).

وهذا الذى ذكره القشيرى يعطينا الملامح العامة التي تبين لنا منزلته ومكانته بين علماء عصره - عصر إزدهار الحضارة الإسلامية - عصر كان علم الكلام البضاعة الرائجة فى ذلك العصر الذي ظهر فيه المعتزلة سواء بالبصرة أم بدار السلام وكثرت المقالات وتعددت الفرق وانتشرت الآراء وشجع الخلفاء أنفسهم فى مجالسهم حرية الرأى ولو بلغت تلك الآراء من التطرف ماتمس العقيدة وشغل الناس بالجدال وحدثت محن وفتن.

فالمحاسبى لم يوجد له نظير فى زمنه فى علمه وورعه ومعاملاته وحاله ويكفى أن نعلم أن الزمان الذى وجد فيه المحاسبى كان عصر المنازعات والخلافات بين أرباب المذاهب وأنصار الفرق المختلفة فلقد كان النزاع قائما بين المعتزلة من جانب وأهل الحديث والفقهاء من جانب آخر وكذلك كان النزاع موجودا بين الشيعة من جانب والخوارج من جانب آخر وفى هذا العصر أخذت كل فرقة من هذه الفرق تجذب النص - القرآن والحديث - طرفها وتدعى كل فرقة أنهم أهل السنة والجماعة وماعداهم ضال مضل.

ولما كان الإمام المحاسبى قد بلغ مكانة علمية فائقة وسط خضم هذه التيارات الفكرية والمعارك الكلامية بين أنصار الفرق والمذاهب وكان لرأيه السديد مكانته الذى حدا به إلى أن يكون إمام المسلمين آنذاك بلا منازع : يقول عنه التميمى {هو إمام المسلمين فى الفقه والتصوف والحديث والكلام}(٢).

وإذا كان المحاسبى قد بلغ هذه المكانة العلمية العالية والتي كانت سببا أن يتخذ إماما للمسلمين فى هذا الوقت وأن يُقتدى به وهذا هو الذى جعل إبن خفيف يوصى اتباعه بأن يتخذوا خمسة رجال من أعلام التصوف قدوة لهم على أن يكون أولهم الإمام المحاسبى حيث يقول {إقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا حالهم. الحرث بن أسد المحاسبى والجنيد بن محمد وأبومحمد رويم وأبوالعباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكى لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق}(٣).

(١) الرسالة القشيرية صـ ١٢

(٢) الكواكب الدرية للمناوى جـ ٢ صـ ٥١٨ نقلا عن حسين القوتلى فى مقبرة العقل وفهم القرآن صـ ٥١ .

(٣) الرسالة القشيرية صـ ١٣ .

وابن خفيف حينما يوصى أصحابه بأن يتخذوا هؤلاء قدوة لهم علل رأيه بقوله «لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق جمعوا بين العلم العقلى والرؤية القلبية فأصبح المعلوم عندهم جليا واضحا ثم إن الإمام المحاسبى لم تكن ثقافته خاصة بفن من فنون المعرفة بل إنها كانت عامة شاملة لجميع العلوم والمعارف التى كانت موجودة أنذاك فهو كما قال التميمى إمام المسلمين فى الفقه والتصوف والحديث والكلام فهو فقيه مع الفقهاء محدث مع المحدثين شيخ الطريق للصوفيه والمريدين متكلم مع المتكلمين قال عنه الحافظ الذهبى [وكان الحارث كبير الشأن قليل المثل](١).

ويكفى أن تعلم أن العلماء قد شهدوا له بعلو المنزلة وسموا المكانة : قال ابن مسروق قال حارث المحاسبى لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل التوفيق. قال وسمعت الحارث يقول ثلاثة أشياء عزيزة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الإخاء مع الأمانة. ومن كلامه ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين وتركها مع نسيانها صفة العارفين...](٢).

وقال عنه إبن النديم إنه [من الزهاد المتكلمين على العبادة فى الدنيا والمواعظ وكان فقيها متكلما مقدما كتب الحديث وعرف مذاهب النساك...](٣).

كتبـــه :

لقد كتب الإمام المحاسبى فى جميع فنون العلم وفروع المعرفة كتب فى الفقه والتفسير والحديث والتصوف والكلام وأصول الديانات وقد وصلت كتبه إلى مايزيد على المائتين.

يقول الدكتور عبدالحليم محمود [أما كتبه فإنها من الكثرة بحيث قدرها بعضهم بمائتى مصنف حسبما روى السبكى فى طبقات الشافعية والمناوى فى الكواكب الدرية](٤).

وإذا كان السبكى والمناوى قد بينا لنا عدد ماصنفه المحاسبى من الكتب إلا أن الخطيب البغدادى وابن النديم يبرزان لنا أهمية هذه الكتب ومكانتها فى عصره والعصور التالية له.

يقول الخطيب البغدادى [والحارث كتب كثيرة فى الزهد وفى أصول الديانات

---

(١) تاريخ الإسلام صـ ٢٠٨ .

(٢) السابق صـ ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣) الفهرست لابن النديم صـ ٢٦١ .

(٤) مقدمة الرعاية لحقوق الله للدكتور عبد الحليم محمود دار المعارف الطبعة الثانية صـ ١١ .

والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وغيرها وكتبه كثيرة الفوائد جمة المنافع وذكر أبوعلي إبن شاذان يوما كتاب الحارث في الدماء فقال : على هذا الكتاب عول أصحابنا في أمر الدماء والتي حدثت بين الصحابة}(١).

وإذا كان البغدادي قد بين لنا مكانة كتب المحاسبي وأطلعنا على كتاب الدماء وماله من المكانة العلمية عند علماء عصره والذين أتو من بعده فإن إبن النديم يزيد الأمر وضوحا ويطلعنا على كتاب آخر للمحاسبي حيث يقول {وله - المحاسبي - من الكتب كتاب التفكر والاعتبار}(٢).

ويزيد الحافظ الذهبي الأمر وضوحا فيقول {وقال أبوسعيد بن الأعرابي في طبقات النساك : كان الحارث قد كتب الحديث وتفقه وعرف مذاهب النساك وآثارهم واخبارهم وكان من العلم بموضع}(٣).

من أقوال هؤلاء جميعا نستطيع أن نقول إن المحاسبي كان رجلا على ثقافة عالية أهلته لأن يكتب في جميع فروع العلم وفنون المعرفة وأنه كان ذو عقلية فذة جعلته يناقش المعتزلة والروافض والحشوية وأن يلزمهم من داخل مذاهبهم بإلزامات لا يستطيعون دفعها كما أن ذلك ينبئ على أنه رجل صاحب فكر ثاقب أهله لأن يكتب في أصول الديانات. يقول الدكتور عبدالحليم محمود {ولقد كتب المحاسبي في هذه العلوم جميعها بيد أن مسحته الظاهرة ونزعته الواضحة والكثرة الكثيرة من كتبه إنما كانت في التصوف والكلام}(٤).

وقبل أن أذكر أسماء كتب الإمام المحاسبي والتي كتب لها الظهور على مسرح الحياة المعاصرة لابد أن تصحح الخطأ الذي وقع فيه الدكتور حسين القوتلي فهو يقول {فهذه الكثرة من الكتب التي يبلغ بها الخطيب المائتين وهو ثقة في هذه لأنه بغدادي والحارث بغدادي ولأنه ليس متأخرا عنه كثيرا ولأنه واسع الإطلاع على الكتب لاثير استغرابنا}(٥).

فالدكتور يشير إلى أن الخطيب البغدادي قد صنف كتب المحاسبي وجعلها مائتين على حين أن الخطيب البغدادي لم يشر إلى عدد ما صنفه المحاسبي وإنما أشار إلى أهمية ماصنفه : فضلا عن أنه قد وقع في الخطأ الذي وقع فيه إبن

(١) تاريخ بغداد جـ ٨ صـ ٢١١ .

(٢) الفهرست صـ ٢٦١ .

(٣) تاريخ الإسلام صـ ٢٠٩ .

(٤) مقدمة الرعاية صـ ١٢ .

(٥) مقدمة فهم القرآن والعقل صـ ٦١ .

النديم من قبل حيث نسباه إلى بغداد على حين أن المحاسبي بصرى الأصل وليس ببغدادى وقد تفضل مشكورا مبين ذلك في صدر مقدمته التى قدم بها « مائية العقل ، وفهم القرآن » .

أما عن كتب الإمام المحاسبي والتى وصلت إلينا : فهى :

«النصائح والوصايا» - كتاب الخلوة والتنقل فى العبادة ودرجات العابدين - آداب النفوس رسالة المسترشدين - التوهم - مائية العقل ومعناه - كتاب العظمة - كتاب إحكام التوبة - كتاب الدماء - كتاب المكاسب - كتاب المسائل في الزهد وغيره - كتاب المسائل فى أعمال الجوارح - كتاب الرعاية لحقوق الله - كتاب فهم القرآن.

على أنه يجب أن نعلم أن باقى كتبه منها مافقد فيما فقد ومنها مازال مطموراً ولم يكتب له الخروج بعد أما عن كتبه الكلامية فإنه لم يظهر منها شيئاً سوى كتابى «مائية العقل ، وفهم القرآن» أما باقى كتبه الكلامية فإننا لا نعلم عنها شيئاً فلعلها فقدت فيما فقد ، ولعلها مازالت مطمورة إلى الآن ولم تتح الفرصة بعد لاخراجها إلى النور.

تلاميــــــــذه :

يذكر لنا الحافظ الذهبي أنه كان هناك تلاميذ أخذوا عن الحارث المحاسبى العلم والمعرفة وصاروا قادة وعلماء للأمة حملوا الراية من بعده فى تبليغ دعوة الحق إلى الخلق وكانوا منارة للسالكين إلى رحاب المعرفة واليقين ومن هؤلاء التلاميذ {أبوالعباس بن مسروق وأحمد بن القاسم أخو أبى الليث وأحمد بن الحســـن بن عبدالجبار الصوفى والجنيد رحمه الله وإسماعيل بن إسحاق السراج وأبوعلى بن خيران الفقيه واسمه حسين(1) .

وهؤلاء العلماء هم الذين نقلوا آثاره ووصلت أخبارهم إلينا على أنه يجب أن نعلم أن له عدد كبير من التلاميذ والرواد الذين كانوا يأخذون عنه العلم والمعرفة إلا أن أخبارهم لم تصل إلينا ولم نعلم عنهم شيئاً ومما يدل على ذلك مارواه الحافظ الذهبى عن إسماعيل بن إسحاق السراج أنه فى يوم من الأيام دعا الحارث وأصحابه عنده فقال له الحارث فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر(2).

فهذا يدل على أنه كان هناك عدد كبير من التلاميذ للحارث ولكنه لم يصلنا عنهم

(1) تاريخ فهم الإسلام صـ ٢٠٥ .   (2) السابق صـ ٢٠٨ .

شيئاً .

المحاسبي والإمام أحمد بن حنبل :

ذكر الباحثون القدامى والمحدثون أنه كانت هناك عداوة شديدة بين الامامين – المحاسبى وابن حنبل – بسبب ميول الإمام المحاسبى إلى علم الكلام وأن الإمام أحمد قد شن عليه هجوما عنيفاً بسبب هذه المسألة وألب عليه العامة لدرجة أنه لما مات لم يشيع جنازته ولم يصلى عليه إلا أربعة نفر {فالإمام أحمد رضى الله عنه قاطع الذين يخضعون فى غير مأثر عن السلف مقاطعة تامة : حتى إنه ماكان يستجيز لنفسه الرد عليهم وكان على ذلك إلى أن مات ولقد كتب إليه رجل يسأله عن مناظرة أهل الكلام فكتب إليه أحمد رضى الله عنه الكتاب التالى :

أحسن الله عاقبتك الذى كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وانما الأمر فى التسليم والانتهاء إلى ما فى كتاب الله ولم يزل الناس يكرهون كل محدث من وضع كتاب وجلوس مع مبتدع ليردوا عليه بعض مايليس عليه فى دينه}(١).

لقد كان الإمام أحمد ينهى الناس عن علم الكلام وهو العلم الذى يتكلم فى العقائد الدينية بطرق عقلية ويدافع عنها بالحجج المنطقية ويرد الشبهات التى أثيرت حولها بطرق عقلية فكان يذم أهل الكلام وإن أصابوا وينهى عن تدقيق النظر فى أسماء الله تعالى وصفاته .

يقول الامام محمد أبوزهرة {وماكان ذلك النهى – يقصد النهى عن علم الكلام – إلا أن هذا المسلك لم يسلكه السلف ولأنه أن أدى إلى الصواب مرة فقد يؤدى إلى الضلال وقد يتيه العقل به فى متاهات لا جدوى عند النجاة منها وفيها الضلال البعيد إن لم تكن النجاة}(٢).

ولعل هذا السبب – النهى عن التحدث فى علم الكلام – كان هو السبب المباشر للخصومة التى وقعت بين الإمام المحاسبى والإمام أحمد بن حنبل ويبين لنا ذلك الخطيب البغدادى فيقول :

{وكان أحمد بن حنبل يكره لحارث نظره فى الكلام وتصانيفه الكتب فيه ويصد الناس عنه}(٣). ويفصل لنا الإمام الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال مادار بين

(١) ابن حنبل حياته وآراؤه - الإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر الحديث ط ٧ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ ٨ ص ٢١٤ .

الإمام أحمد بن حنبل والامام المحاسبى وإنكار الإمام بن حنبل لمذهب المحاسبى الكلامى فيقول {فقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبى رحمهما الله تصنيفه فى الرد على المعتزلة، فقال الحارث، الرد على البدعة فرض، فقال أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا .. ثم أجبت عنها فلم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه}(١).

وأرى أن الإمام بن حنبل كان يكره أن يطلع العوام على ماكتبه الإمام المحاسبى فى علم الكلام حيث إن العوام لا يستطيعون أن يفرقوا بين الشبهة والرد عليها ولذلك نجد إنكار الإمام أحمد على الإمام المحاسبى ممثلا فى قوله {ولكنك حكيت شبهتهم أولا}. ثم يعلل ذلك بقوله (فلم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه) - إذن فالعوام حديثهم الملائم لطبيعة فكرهم وللخواص حديثهم المتفق وتوقد أذهانهم ولذلك نجد أن الإمام بن حنبل كان له مجلسان مجلس للخواص فى منزله ومجلس للعوام فى المسجد يقول الشيخ أبوزهرة {ويظهر أنه كان له مجلسان للدرس والتحديث (أحدهما) فى منزله يحدث فيه خاصة تلاميذه وأولاده : والثانى فى المسجد يحضر إليه العامة والتلاميذ}(٢).

ومن ناحية ثانية فإن إنكار الإمام إبن حنبل لمنهج المحاسبى الكلامى لم يكن لاختلاف عقيدة الإمام المحاسبى. كلا ، ولكن لاختلاف الطريقة والمنهج يقول الدكتور عبدالحليم محمود {على أن رأى المحاسبى فى المسائل الكلامية معروف تحدث عنه الشهرستانى وغيره ممن كتبوا فى الملل والنحل وهو الرأى السلفى ولم تكن حملة الإمام أحمد عليه لرأيه وعقيدته. فذلك أمر يتفق فيه الإمامان وانما كان إنكار الامام أحمد عليه للأسلوب والطريقة التى ينصر بها الدين}(٣). ومع إنكار الإمام أحمد لمنهج المحاسبى ومع صد الناس - العوام - عن مطالعة كتبه لم يستطع هو أن يبتعد عنه ولا أن يهجر مجلسه ولا أن يمتع عقله بالسماع إلى حديث المحاسبى ذلك لما يعلمه من قوة حجته وغزارة علمه وحسن سلوكه وفيض المعارف عليه. ويذكر لنا الخطيب البغدادى مايوضح ذلك فيقول :

---

(١) المنقذ من الضلال للإمام الغزالى مع أبحاث فى التصوف .. بقلم الدكتور عبدالحليم محمود - دار الكتب الحديث طـ ٧ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) ابن حنبل للامام محمد أبو زهرة ص ٣٩ .

(٣) مقدمة الرعاية لحقوق الله .. ص ١٣ .

ومع إنكار الإمام أحمد لمنهج المحاسبي ومع صد الناس - العوام - عن مطالعة كتبه لم يستطع هو أن يبتعد عنه ولا أن يهجر مجلسه ولا أن يمتع عقله بالسماع إلى حديث المحاسبي ذلك لما يعلمه من قوة حجته وغزارة علمه وحسن سلوكه وفيض المعارف عليه. ويذكر لنا الخطيب البغدادي مايوضح ذلك فيقول : [أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب ... يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق السراج يقول : قال لي أحمد بن حنبل يوما بلغني أن الحارث هذا يعني - المحاسبي - يكثر السكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فاسمع كلامه ؟ فقلت السمع والطاعة ياأباعبدالله وسرني هذا الابتداء من أبي عبدالله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة فقلت وقل لأصحابك أن يحضروا معك فقال ياإسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكُسْب والتمر واكثر منهما ماإستطعت .. ففعلت ماأمرني به وانصرفت إلى أبي عبدالله فأخبرته. فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار. فاجتهد في ورده إلى أن فرغ .. وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها و قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل .. فابتدأ واحدا منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكأن على رؤسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق. وهو في كلامه. فصعدت الغرفة لا تعرف حال أبي عبدالله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا . فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبدالله وهو متغير الحال فقلت كيف رأيت هؤلاء؟ فقال ماأعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل. وعلى ماوصفت من أحوالهم فإني لا أرى لك صحبتهم](١).

وماذكره الخطيب البغدادي يشير إلى عدة حقائق هامة.

الأولى : أن الخلاف بين الإمامين لم يكن قد وصل إلى درجة الكفر والتفسيق والتضليل كما يظن بعض الكتاب إنما كان الخلاف بينهما في المنهج والأسلوب.

الثانية : ومع اختلافهما في المنهج إلا أن الحقيقة يجب أخذها من أي عالم كان وهذا يدل على أن الإمام يطبق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحكمة ضالة المؤمن». فلو أن الإمام أحمد لو كان يعلم أن المحاسبي ليس صاحب علم وورع وتقوى ماجلس إليه وماإستمع لحديثه.

---

(١) تاريخ بغداد جـ٨ ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

الثالثة : ماصرح به الإمام أحمد لإسماعيل بن إسحاق السراج بأنه مارأى مثل هذا القوم ولا سمع فى علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل فإن هذا يدل على عمق فكر الإمام المحاسبى وعلى أنه ليس كل واحد يفهم قوله ولا يتحدث فى علم الكلام بمثله أحد وانما أنكر عليه ذلك خوفا على العوام ومن أجل ذلك فإنى أرى أن نهى الإمام إبن حنبل عن الخوض في علم الكلام إنما هو خاص لمن يبحث فيه بوجهة النظر العقلية وفقط أما من يبحث فى علم الكلام بالنص والعقل والكشف كالإمام المحاسبى فأرى أنه لا يدخل تحت هذا الحكم ومما يؤيد ذلك ماذكره الإمام التفتازانى حيث يقول [التحقيق فى مسألة ذم الخوض في علم الكلام أن النظر عن طريق المتكلمين من تحرير الأدلة بتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها فرض كفاية فى حق المتأهلين له فيكفى قيام بعضهم به وأما غير المتأهلين ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع فى الشبه المضلة فليس له الخوض فيه . قال الجلال المحلى وهذا مجمل نهى الإمام الشافعى وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام](١).

الرابعة : إن قضية الانفعال التى ذكرها البغدادى للإمام إبن حنبل عند سماعه حديث المحاسبى لتدل دلالة قطعية على قبول الإمام أحمد لكلام الإمام المحاسبى ولولا قبوله لقوله ماكان قد تأثر به إلى هذا الحد .

أما فيما يتعلق بطريقة الإمام المحاسبى فى تصنيفه كتبه :

فإن الإمام المحاسبى كانت كتبه ومؤلفاته إجابة على أسئلة تلاميذه تلك الأسئلة والتى كانت تجول بخاطرهم آنذاك والتى كانت روح العصر الذي عاش فيه ويروى لنا الإمامان القشيرى والبغدادي مايوضح ذلك نقلا عن الإمام الجنيد [قال الجنيد بن محمد كان الحارث المحاسبى يجيىء إلى منزلنا ويقول إخرج معنا نصحر فأقول له تخرجني من عزلتى وأمنى على نفسى إلى الطرقات والافات ورؤية الشهوات. فيقول إخرج معى ولا خوف عليك. فأخرج معه فكان الطريق فارغ من كل شىء لا نرى شيئا نكرهه فإذا حصلت فى المكان الذي نجلس فيه قال لى سلنى. فأقول له ماعندى سؤال أسألك فيقول. سلنى عما يقع فى نفسك فتنثال على السؤالات فأسأله عنها فيجيبنى عنها للوقت ثم يمضى إلى منزله فيجعلها كتب](٢).

ويقول الدكتور القوتلى [ولأمانة الحارث فى نقل أفكار عصره نستطيع أن نقول

---

(١) اليواقيت والجوهر في عقائد الاكابر للامام عبدالوهاب الشعرانى جـ١ص٢٤الطبعة الأخيرة سنة ١٩٥٩ .
(٢) انظر الرسالة القشيرية وفهم القرآن للدكتور حسين القوتلى ص ٦٣ .

وبغير تردد أن الموضوعات التى كتب فيها الحارث هى الموضوعات التى كانت شغل العلماء الشاغل فى النصف الأول من القرن الثالث ونهج الحارث هذا فى التأكيد يعلل لنا أمراً آخر بدا فى مؤلفاته فالمحاسبى كان يكره اللغو والفضول والتشدق بالكلام ولأن الجواب ينبغى أن يكون على قدر السؤال كانت أكثر مؤلفاته مختصرة يقع الواحد منها فى بضع عشرة ورقة تفى بالمراد وتُفهم المريد مايريد أن يفهمه ولا يعنى ذلك أن المحاسبى ترك مؤلفاته فى صورة حوار مرتجل بل نظمها بشكل متسق ومنطقى ..}(١) فمؤلفات المحاسبى هى فى حقيقتها واقعية بخلاف محاورات كثير من الفلاسفة التى كانت محاوراتهم أقرب إلى الخيال من الواقع.

هذا طرف رفيع عن حياة الإمام المحاسبى وعن بعض الجوانب التى تحدد لنا ملامح شخصيته الفريدة وعن مكانته بين علماء عصره.

وننتقل إلى المنهج الكلامى للإمام المحاسبى.

منهج الإمام المحاسبى فى علم الكلام

يعرف إبن خلدون علم الكلام بأنه {علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة}(٢). أو بعبارة أخرى {هو علم يهدف إلى بيان العقائد الدينية كما ورد بها الكتاب والصحيح من السنة وإلى الاستدلال لها والدفاع عنها وأخيراً إلى الرد على الفرق الضالة بما ذهبت إليه فى هذه العقائد ومعنى هذا أن هذا العلم يجب أن يلاحظ فيه أمران :

١- أن يقوم على أدلة تتناسب وعقليات من تتوجه إليهم من صنوف الناس المختلفة فى الفهم والادراك وطرق الوصول لليقين.

٢- الرد على الفرق المخالفة لهذه العقائد الفرق التى لها وجود فعلا فى الزمن الذى نعيش فيه}(٣).

ويجب أن نلاحظ عدة ملاحظات :

الملاحظة الأولى : أن الذين بحثوا فى علم الكلام لم يكن هدفهم أن يكتبوا ذلك فى أنفسهم وإنما كان هدفهم المنشود هو تصحيح إعتقاد المخالفين والرد على الذين قد أحدثوا فى العقيدة ماليس منها يقول الشعرانى {إعلم أن علماء الإسلام

(١) مقدمة العقل وفهم القرآن للدكتور حسين القوتلى ص ٦٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون - دار القلم الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٤ م ، ص ٤٥٨ .

(٣) مقدمة كتاب الإرشاد للجوينى بقلم أ . د محمد يوسف موسى ط ر مكتبة الخانجى سنة ١٩٩٠ م .

ماصنفوا كتب العقائد ليثبتوا فى أنفسهم العلم بالله تعالى وإنما وضعوا ذلك رداً للخصوم الذين جحدوا الأدلة أو الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الاعادة فى هذه الأجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر إلا عن كافر فطلب علماء الإسلام إقامة الأدلة على هؤلاء ليرجعوا إلى اعتقاد وجوب الإيمان بذلك لاغير وإنما لم يبادروا إلى قتلهم بالسيف رحمة بهم ورجاء رجوعهم إلى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التى ينساقون بها إلى دين الإسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصح إيمانا من الراجع بالسيف إذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك}(1).

الملاحظة الثانية : أن الذى أدى إلى نشأة علم الكلام هو القرآن الكريم ومحاولة تفسير آياته واستنباط المسائل الميتافيزيقية منه إذ القرآن الكريم يشتمل على جميع الأصول العلمية لكل فرع من فروع العلم ولذلك ولى العلماء وجوههم شطره : يقرأونه ويتدبرونه ويتأملون آياته والقرآن يعطى لكل منهم مايريد يقول الدكتور النشار {والحياة الإسلامية كلها ليست سوى التفسير القرآنى فمن النظر فى قوانين القرآن العملية نشأ علم الفقه ومن النظر فيه ككتاب يضع الميتافيزيقيا نشأ علم الكلام ومن النظر فيه ككتاب أخروى نشأ الزهد والتصوف والأخلاق ومن النظر فيه ككتاب للحكم نشأ علم السياسة ... وتطور العلوم الإسلامية جميعها إنما ينبغى أن يبحث فى هذا النطاق. فى النطاق القرآنى نشأت . وفيه نضجت وترعرعت وفيه تطورت وواجهت علوم الأمم تؤيدها أو تنكرها}(2).

الملاحظة الثالثة : أن البحث فى علم الكلام يكون على ضربين : الأول وهو البحث فى هذا العلم للحصول على مقام العلم فقط وهذا النوع لا جدوى منه ولا فائدة له بل قد يكن مضرة على صاحبه.

والثانى : وهو البحث فى علم الكلام للحصول على حال الإتصاف. والعلم الموصل بصاحبه إلى ملكة الاتصاف هو العلم المقبول النافع فى الدنيا والآخرة لأنه يقوم على المشاهدة القلبية بعد المعرفة العقلية . يقول ابن خلدون {.. علمك بالتوحيد مع إتصافك به والعلم حاصل عن الإتصاف ضروة وهو أوثق من العلم الحاصل قبل الإتصاف وليس الإتصاف بحاصل من مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مراراً غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الإتصاف والتحقيق.

---

(1) اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر للإمام عبدالوهاب الشعرانى جـ ١ ص ٢١ .

(2) نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام للدكتور على سامى النشار دار المعارف ط ٨ ، جـ ١ ص ٢١٧ .

ويجيء العلم الثاني النافع في الآخرة. فإن العلم الأول المجرد عن الإتصاف قليل الجدوى والنفع وهذا علم أكثر النظار والمطلوب هو العلم الحالي الناشيء عن العادة وأعلم أن الكمال عند الشارع في كل ماكلف به إنما هو في هذا فما طلبت إعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني الحاصل عن الإتصاف وماطلبت عمله من العبادات فالكمال فيه في حصول الإتصاف...](١).

وابن خلدون يشير هنا إلى أن البحث في علم الكلام إما أن يكون عن نظر واستدلال وفقط وهو الذي أشار إليه بقوله العلم المجرد وإما أن يكون عن كشف وعيان وهو الذي يعنيه بقوله فترسخ الملكة ويحصل الإتصاف والتحقيق ولا يأتي الكشف والعيان إلا إذا كان قد سبقه النظر والاستدلال وقد يأتي النظر والاستدلال ولا يحصل الكشف والعيان.

وقد بحث الإمام المحاسبي في علم الكلام وكان بحثه قائما على الكشف والعيان بعد أن إستقصى أنواع النظر وصنوف الاستدلال.

ولذا فسنتوقف لنرى موقفه من علم الكلام ومسائله حسبما بين لنا هو بنفسه ذلك من خلال كتابه فهم القرآن. فهو الكتاب الوحيد الذي تعرض فيه للمسائل الكلامية وإن كانت هناك بعض الآراء في كتابه مائية العقل فإنه كررها في كتابه : فهم القرآن .

أولا : المعرفة

يرى المحاسبي أن معرفة الله وصفاته وأسمائه الحسنى والحسن والقبيح من الأفعال والخير والشر من الأعمال لا يكون ذلك بالعقل كما قال المعتزلة ولكنه يرى أن المعرفة لا تكون إلا بالشرع وأن الله أرسل رسله وأنبيائه إلى عباده ليخبرهم بهذه الأشياء لأنه سبحانه علم أن عقولهم قاصرة عن إدراك حقائق الأعمال والأفعال فأرسل رسله رحمة بعباده وتفضلا منه عليهم وليس ذلك بواجب عليه كما قالت المعتزلة فهو سبحانه لا يجب عليه شيء [لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون] يقول المحاسبي [فاستخص آدم وذريته فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية والألباب والفهم ليدبروا بها شواهد التدبر وأحكام التقدير فألزمهم بذلك حجة من عقولهم ... ثم أكد الحجة عليهم بإرسال الرسل إليهم فنبههم على النظر بما شاهدوا من الآيات الظاهرة والدلايل البينة ... ولم تكن الرسل لتعرف

(١) مقدمة ابن خلدون للإمام عبدالرحمن ابن خلدون ص ٤٦١ .

صفاته ولا مايجب ويكره فيعلموا غيبه كما علم غيوبهم فيكونوا أربابا مثله جل وعلا عن ذلك وتعالى ولم يكونوا ليعرفوا صفاته ولا مافى نفسه مما يحب ويكره ولا ما يريد أن يكرم به من إطاعة ولا ما يهين به من عصاه أبداً ثم تكلم بذلك تكليما بذاته فأكد عليهم الحجة بكلامه واختار إرسال الأنبياء من عباده فأرسلهم بكلامه ووصف لهم صفاته الكاملة وأسمائه الحسنى ومايرضى من المقال والفعال ومايسخطه من الأعمال وما أعد لمن أطاعة من الثواب الجزيل .. وماأعد لأعدائه من أليم العذاب .. فأرسل بذلك الأمناء من رسله فقطع بهم العذر وأزاح بهم العلل وقال جل من قائل لئلا يكن للناس على الله حجة بعد الرسل](١).

وليس معنى ذلك أن المحاسبى قد أهمل العقل وعمله كما فعل أهل الحديث أو قصر عمل العقل علي دائرة الشرعيات كما فعل الفقهاء كلا إنه بين أن مكانة العقل مكانة عالية فالعقل مناط التكليف أولا والعقل هو الذى يفهم الأمر والنهي والعقل هو المخاطب من الله من قبل الإنسان حيث يقول [وأنه (الله) خاطبهم به من قبل ألبابهم فقال إنما يتذكر أولوا الألباب وقال لقوم يعقلون ولقوم يتفكرون لأنه جعل العقول معادن الحكمة ومقتبس الاراء ومستبط الفهم ومعقل العلم ونور الأبصار إليها يأوى كل محصول وبها يستدل على ماأخبر به من علم الغيوب فيها يقدرون الأعمال قبل كونها ويعرفون عواقبها قبل وجودها وعنها تصدر الجوارح بالفعال بأمرها تتسارع إلى طاعتها أو تزجرها فتمسك عن مكروهها](٢).

والعقل عند المحاسبى هو [غريزة وضعها الله سبحانه فى أكثر خلقه لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ولا اطلعوا عليها من أنفسهم بروية ولا بحس ولا ذوق ولاطعم وإنما عرفهم الله إياها بالعقل منه](٣).

والعقل عند المحاسبى هو أساس المعرفة ولذلك يقول [والذى هو عندنا أنه غريزة والمعرفة عنه تكون](٤).

وإذا كان الحق سبحانه قد وهب العقل للجميع كما ذهب إلى ذلك المحاسبى فإن الناس تتفاوت درجاتهم وتتباين مداركهم ولذلك فإننا نجد أن المحاسبى يقسم الناس بحسب معنى العقل فى القرآن إلى فرق أربعة : الأولي فرقة عقلت عن الله عظم

---

(١) فهم القرآن للحارس المحاسبى ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) فهم القرآن للحارس المحاسبى ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٣) مائية العقل للحارث المحاسبى تحقيق الدكتور حسين القوتلي ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

قدره وقدرته وما وعد وتوعد فأطاعت وخشعت : والثانية فرقة عقلت البيان ثم جحدت كبرا وعنادا لطلب الدنيا . والثالثة هم أصحاب التقليد وهى التى طغت وأعجبت وقلدت فعميت عن الحق أن تتبينه ثم تقربه ثم تجحده كبرا وطلب دنيا . والرابعة وهى التى عقلت قدر الله عز وجل فى تدبره وتفرده بالصنع وعرفت قدر الإيمان فى النجـــاة بالتمسك به .. فلم يجدوا كبرا ولا أنفة ولا طلب دنيا لعقلها أن عاجل الدنيا يفنى وعذاب الآخرة لا يفنى(١).

لكن متى يسمى الرجل عاقلا عن الله وهل الذى يرتكب المعاصى ويعقل المنكرات يكون عاقلا عن الله باعتبار أن الحق قد منح العقل لجميع خلقه ؟.

يجيب المحاسبى على هذا السؤال بأن المؤمن الخائف فقط هو العاقل عن الله أما الذى يرتكب المنكرات ويعقل المنهيات فلا يسمى عاقلا عن الله حيث يقول [فمتى يسمى الرجل عاقلا عن الله ؟ إذا كان مؤمنا خائفا من الله عز وجل والدليل على ذلك أن يكون قائما بأمر الله الذى أوجب عليه القيام به مجانبا لما كره ونهاه عنه فإذا كان كذلك إستحق أن يسمى عاقلا عن الله. بل لأنه لايسمى عاقلا عن الله من يعزم على القيام بسخطه فأقام بذلك مقرا غير تايب](٢).

أما بالنسبة لكيفية ترقى العقل إلى الوصول إلى هذه المعرفة فإن المحاسبى يشرح ذلك شرحا وافيا وأرى أن شرحه هذا أقرب إلى التصوف من الكلام

المعرفة عنده قائم على الخوف من الله وقوة اليقين بالله وحسن البصر بدينه بالفقه عنه(٣) . وهو يعترف بذلك فيقول إثم هذه الثلاث الخلال (يقصد الخوف واليقين وحسن البصر) حقائق من الفعل بالقل والجوارح](٤).

أما بالنسبة لطرق الاستدلال عند المحاسبى فإنه يرى أن طرق الاستدلال أربعة أولها القرآن الكريم وثانيها السنة النبوية وثالثها اجماع الأمة ورابعها حجة العقل سواء أكانت إستنباطاً أو قياساً ويوضح المحاسبى ذلك فيقول [فلما كثرت آفات المناظرة وكان التفرد بقراءة الكتاب المجموع فيه والمؤلف فيه حدود الحق رأيت أن أصنفه مبينا وأستشهد عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة أو استنباط بينا أو قياسا إذ اعدم البيان بالنص فيما يجوز فيه القياس وإلا فالتسليم](٥).

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) المرجع السابق ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣) المرجع السـابق ص ٢٢٠ .

(٤) المرجع السـابق ص ٢٢١ .

(٥) مائية العقل للمحاسبى ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

إذن فالمحاسبي يقدم الاستدلال بالقرآن أولا فإن لم يوجد فيكون الاستدلال بالسنة حيث إنها هي المفصلة لما كان مجملا والموضحة لما كان غامضا فإن لم يوجد في القرآن والسنة فيكون الاستدلال باجماع الأمة فإن لم يوجد فيكون بالعقل عن طريقين الأول الاستنباط والثاني القياس بشرط أن يكون الأمر المطروح للاستدلال مما يجوز فيه استنباط أو قياس أما إذا كان الأمر لا يجوز فيه إستنباط ولا قياس فيكون قبوله بالتسليم والتفويض.

وكأن المحاسبي في هذا قد أدخل مباحث الصوفية ضمن مباحث علم الكلام لأن التسليم والتفويض عند علماء الكلام لا يكون إلا بنص صريح أو حجة عقل واضحة.

ويوضح المحاسبي تقديم حجة النص على حجة العقل فيقول [الحجة حجتان - عيان ظاهر أو خبر قاهر. والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل والعقل هو المستدل والعيان والخبر هما علة الإستدلال وأصله. ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون الإستدلال مع عدم الدليل. فالعيان شاهد يدل على غيب والخبر يدل على صدق فمن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سفه ورب حق أحق من حق كمن عفا ومن اقتص](١).

فالمحاسبي هنا بين أن العقل في إستدلاله إما أن يستدل بحجة العقل لانها تكون عيان بالنسبة له وإما أن يستدل بحجة الخبر ثم بين أن حجة الخبر مقدمة لأنها تدل على صدق بينما حجة العيان شاهد يدل على غيب والذى يدل على صدق مقدم على مايدل على غيب وهذه الطريقة الاستنتاجية التى قدمها المحاسبي في المعرفة لا تقل أبداً عن رأى أكبر المتكلمين بل قد تفوقها ولذلك فإننى أجد أنه أقرب إلى الحقيقة والواقع والقبول من النظرية التي قدمها لنا العلاف والذى كان معاصرا له آنذاك(٢).

كما أن المحاسبي فى تعريفه للعقل بأنه غريزة فطرية فإن هذا التعريف للعقل يعتبر هو الأساس الذى انطلق منه علماء أهل السنة في تعريفهم للعقل.

والمحاسبي في نخبه للمعرفة لم يحاول الخوض في المذاهب الفلسفية التي بحثت في المعرفة مع علمه بها واطلاعه عليها ولكنه رأى أن أوثق الطرق هو التمسك بكتاب الله وبسنة نبيه والعمل بما فيهما بعد أن يفهمهما الانسان جيداً.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٢ .

(٢) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور النشار جـ ١ ص ٤٧٧ ، ٤٧٨.

ثانيا : الذات والصفات :

شغلت مشكلة الذات والصفات عصر الامام المحاسبي فقد عاصر المحاسبي بعض أئمة المعتزلة كأبي الهذيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام كما عاصر الحشوية والمشبهة والروافض واطلع على أرائهم ولذلك فإننا نجده يصدر كتابه فهم القرآن بمقدمة يثبت فيها التنزيه المطلق له ذلك التنزيه القائم على إثبات الكمال المنزه عن جميع أنحاء النقص وكأنه يرد على المعتزلة الذين قد أسرفوا في التأويل فوصلوا بالتنزيه إلى التعطيل وهو فى نفس الوقت يرد على المشبهة الذين قد أسرفوا فى الإثبات فوصل بهم الأمر إلى التشبيه والتجسيم. فهو يقول فى مقدمة كتابه [الحمد لله الذى ماسبقه شيء فيكون محدثا مخلوقا ولا بقي إلى أجل فيكون فانيا موروثا . الأول القديم الدايم الكريم. فات المقدار وعلا عن توهم الاذهان . تاقت الألباب عن تكييفه وتحيرت العقول عن إدراكه تفرد بعلم الغيوب فعلم ماكان ومايكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون][1].

وهو فى هذه المقدمة بين أن الحق سبحانه وتعالى أول بلا بداية وآخر بلا نهاية وأن العقل لا يستطيع تكييفه لأن العقل ناقص ومحال على الناقص أن يدرك الكامل وعلمه سبحانه شامل لجميع الغيوب ماكان وماسيكون ومالايكون. لا تقل كيف يعلم ولا متى يعلم ولكن قل عالم بجميع الغيوب بلا كم ولا كيف بلا تفكير ولا تخييل بل بالتفويض والتسليم ثم إنه بين بعد ذلك الحكمة من خلق الإنسان حيث يقول :

خلق الخلق لغير وحشة في إنفراد أزليته ولا استعانة بهم على مايريد من تدبير لكنه أراد أن ينشر رحمته ويمن بفضله ويستخلص من يشاء من بريته فابتداء آثار القدرة وأحكم الصنع وأتقن التدبير وابتداء بالطول ويعد بالمن نعم به عباده عدلا وأوسعهم فضلا][2].

والمحاسبي في تنزيه الله يختلف عن التنزية الذى أثبته المعتزلة حيث إن التنزيه عنده قائم على الاثبات بينما هو عند المعتزلة قائم على النفى والسلب ولذلك يقول الخياط عن التنزيه عند العلاف [وأبوالهذيل ينفي عن الله تعالى شبه خلقه من كل وجه ويثبته واحد اليس بجسم ولا بدى هيئة ولا صورة ولاحد وأنه ليس كمثله شيء][3].

---

(١) فهم القرآن للمحاسبي ص ٢٦٢ .

(٢) فهم القرآن للمحاسبي ص ٢٦٣ .

(٣) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد للخياط ص ٤٩ ، ٥٠ مكتبة الكليات الأزهرية سنة (١٩٨٧، ١٩٨٨)

وهو في إثبات التنزيه له يختلف أيضا عن الحشوية الذين كانوا يقولون أن الحكمة من الخلق هو أن يُعرف الله وذلك لما نسبونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وبهتانا {كنت كنزا مخفيا فخلقت الخلق فبي عرفوني}.

وهذا التنزيه الذى أثبته المحاسبي هو بعينه الذى أثبته عبدالله بن سعيد بن كلاب المتوفي بعد عام ٢٤٠هـ يقول الدكتور نشار نقلا عن إبن تيميه {إن الله عند إبن كلاب لم يزل - أى أن له القدم. ولا مكان ولا زمان قبل الخلق هو قبل المكانية والزمانية والزمان والمكان حادثان والله على مالم يزل عليه فهو سرمدى أبدى}(١).

هذا بالنسبة لتنزيه له سبحانه وتعالى.

وجـــود اللــــه :

لم يوجد بين أيدينا شيء مما كتبه المحاسبي من أدلة على وجود الله فربما أن ماكتبه من أدلة على وجود الله قد فقد فيما فقد كما ذهب إلى ذلك الدكتور عبدالحليم محمود والدكتور حسين القوتلى أم أن المحاسبي لم يكتب في هذه المسألة لبداهتها ووضوحها وأنه لم يوجد من الفرق من ينكر وجود الله سبحانه وتعالى . آنذاك.

وأرى أن الإمام المحاسبي لم يهتم بهذه المسائل ولم يجهد نفسه في إقامة الدليل عليها لبداهتها ووضوحها ولا سيما وإذا علمنا أنه من أصحاب أهل الكشف والعيان ولا يوجد في زمانه مايدعو إلى أن يستدل على هذه المسألة لأنها موجودة في فطرة كل إنسان.

وأرى أن المحاسبي من الذين رفضوا إقامة البرهان على وجود الله لأنه ليس غائبا حتى يستدل عليه يقول الإمام أبوالحسن الشاذلي {إننا ننظر إلى الله تعالى ببصر الإيمان والإيقان فأغنانا بذلك عن إقامة الدليل والبرهان ... وقال في الحكم شتان بين من يستدل أو يستدل عليه والمستدل به عرف الحق لأهله فاثبت الأمر من وجود أصله والإستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه. ومتى بعد حتى تكون الاثار هي الموصلة إليه ... وقال في مناجاته {إلهى كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التى توصل إليك}(٢).

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ١ ص ٢٦٩ .

(٢) نقلا عن الناشر الطيب على شرح الشيخ الطيب للإمام إدريس ابن أحمد الحسن الوزاني جـ ٢ ص ٦٢ .

أما ماذكره الدكتوران عبدالحليم محمود والقوتلي من أن هناك أدلة للمحاسبي على وجود الله وأنها فقدت فيما فقد ويستدل الدكتور القوتلي بأنه ربما أن كتاب فهم القرآن قد فقد منه جزء في آخره فلعل أدلة وجود الله فيه أقول لو أن المحاسبي قد ذكر أدلة على وجود الله لذكرها في صدر كتابه فهم القرآن لا في آخره ولاسيما وأنه تحدث عن التنزيه والخلق والصفات فكان لزاما عليه إذا كان قد ذكرها أن يذكرها في صدر كتابه أو يذكرها في صدر كتاب الرعاية لحقوق الله ولما لم توجد فلا بد أن نعلم أن المحاسبي لم يكن في عصره من ينكر وجود الله حتى يقيم لهم الأدلة ومن ناحية ثانية لابد أن نعلم أن المحاسبي من أهل التحقيق وأهل التحقيق لا يعيرون لهذه المسألة مكانة لأنها واضحة وضوح الشمس في ضحاها .

وحدانية الله :

لقد تحدث المحاسبي عن مسألة وحدانية الله في الكثير من مؤلفاته وعلى الأخص في الفصل المتبقي من كتاب العظمة الذي يتناولها بصورة خاصة والصفحات المحفوظة من كتاب التنبيه وقد أقام المحاسبي دليلان على إثبات الوحدانية.

الدليل الأول : وهو مبني على الانسجام الذي يسود العالم في سائر أرجائه والذي يرى فيه {إن كل الموجودات في هذا العالم إنما وجدت لغرض محدد وكل جزئية منه إنما هي أساس لجزئية أخرى ترتبط بها وهذه بدورها أساس لأخرى . فكل جزئية تخدم أخرى وتخدمها أيضا جزئية غيرها .

فالنبات مثلا إذا كان الغرض منه وجود الحيوان فهو نفسه لا يمكن أن يكون له وجود إلا بالتراب ولا توجد له حياة إلا بالماء وبالتالي فالكل سلسلة وكل حلقة من السلسلة لازمة حتما لتآلف المجموع.

ويتحدث المحاسبي في إستفاضة عن إرتباط الكل بالكل فيشمل بيانه السماء وما فيها والأرض وما ومن عليها من الأشياء ثم يبين أن هذا التآلف لابد من أن يكون له خالق واحد إذ لو كان هناك خالق ثان لما وجد التآلف فإذا اجتمع إثنان وجد الاختلاف ضرورة بين إرادتيهما حيث يطلب كل منهما أن يكون له الملك كله ولا يتأتى بغير ذلك الكمال. ومن لم يطلب ذلك منهما فهو إذن يقبل الوصف بالنقصان. والناقص محتاج والمحتاج مخلوق.

ومن ناحية أخرى فمن أراد منهما الملك والكمال وأدركهما منع الآخر منهما . وبالتالي فليس ممكنا أن يكون هذا الآخر هو الإله.

وهذا الآخر إذا أراد الملك والكمال ولم يدركهما فهو عاجز ولو كان عاجزا عما يريد لنفسه فلابد وأن يكون عاجزا عما يريده بالنسبة إلى الغير.

وإذن فنحن أمام أمرين لا يصح إلا واحد منهما : إما أن يكون كلاهما قادراً وإما أن يكوناً أحدهما قادراً. وفرض إمكان أن يكون الإثنان قادرين محال لأن كلا منهما يطلب الكمال لنفسه وتحقيق أحد الإرادتين يستلزم ثناء الأخرى وتحقيق الإرادتين مهما حال لأن كلا منهما تطلب الملك كله.

إذن ليس إلا إله واحد والقول بالتوفيق بين إثنين محال فيما يتعلق بالإله. لأن التوفيق لا يتأتى بغير تنازلات متبادلة أى أن يتنازل كل طرف عن شيء ما.

وهذا محال بالنسبة للإله وهو من أمر المخلوقات(١).

وهذا الدليل الذى قدمه المحاسبى لإثبات الوحدانية لله فهو دليل قائم على النظر فى أفاق الكون وجنبات الوجود وهو أيضا مأخوذ من فهمه لقوله تعالى [لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدتا](٢).

ثم إن هذا الدليل الذى ذكره المحاسبى لإثبات الوحدانية هو بعينه الدليل الذى قال به علماء الكلام يقول الإمام الرازى عند تفسيره لهذه الآية [المسألة الثانية : قال المتكلمون القول بوجود إلهين يفضى إلى المحال فوجب أن يكون القول بوجود إلهين محال. إنما قلنا إنه يفضى إلى المحال. لأنا لو فرضنا وجود إلهين فلابد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدروات... إلخ] ثم يذكر نفس الدليل الذى ذكره المحاسبى وهذا يدل على أن ماذكره المحاسبى أخذه المتكلمون أساساً لإستدلالهم مع تقدم المحاسبى عليهم جميعا.

الدليل الثانى :

أما عن البديل الثانى الذى قدمه المحاسبى للاستدلال على وحدانية الله فقد إقتبسه المحاسبى من نظره فى القرآن الكريم ولاسيما ماحدث للأمم السابقة من نزول الكوارث عليهم لأنهم لم يؤمنوا بما دعا إليه أنبياؤهم ورسلهم وإنكارهم التوحيد الذى كان أساسا لدعوة جميع الأنبياء والرسل يقول الدكتور عبدالحليم محمود [ويقدم المحاسبى دليلا آخر على وحدانية الله من الكوارث التى حلت بالشعوب الأولى وجاء ذكرها فى القرآن وقد حلت هذه الكوارث بهذه الشعوب لأنها لم تصدق بما جاء به الأنبياء وهم يدعونهم إلى التوحيد](٣).

---

(١) أستاذ السائرين الحارث ابن أسد المحاسبى للدكتور عبدالحليم محمود ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) سورة الأنبياء رقم ٢٢ .

(٣) استاذ السائرين للدكتور عبدالحليم محمود ص ١٠٤ .

فالإمام المحاسبي يؤمن بتنزيه الله سبحانه وتعالى وأنه لا يشبه خلقه ولا يشبهه خلقه وأنه موجود ولا أول لوجوده ولا آخر له وأنه واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله يقول المحاسبي [والله جل ذكره لا تحدث فيه الحوادث لأنا لم نجهل موت من مات أنه سيكون، وكذلك علمنا أن النهار سيكون صبيحة ليلتنا ثم يكون متعلم أنه قد كان من غير جهل منا تقدم أنه سيكون : فكيف بالقديم الأزلي الذي لا يكون موت ولا نهار ولا شيء من الأشياء إلا وهو يخلقه ونحن لا نخلق شيئا](1).

صفـــات المعـــانى :

أما فيما يتعلق بصفات المعانى وهى : القدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والحياة والكلام فإن الإمام المحاسبى قد بحث هذه المسألة فى كتابه فهم القرآن وكان له موقفه الذى خالف فيه المعتزلة والحشوية والمشبهة والروافض ورد عليهم بعد أن فند حججهم وأبطلها وأيد رأيه بأدلته والتى تعتبر الإساس لمذهب الأشعرى والماتريدى.

أ - فالإمام المحاسبى من الذين أثبتوا الصفات لله سبحانه وتعالى فهو يقول فى حديثه عن النسخ [لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله جل ثناؤه ولا صفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ جل وعز وصف نفسه بصفاته الكاملة .. فمن أجاز النسخ فيها أجاز أن يبدل أسماءه الحسنى فيبدلها قبيحة سوأى وصفاته الكاملة العلية فتكون دنية ناقصة سفلى .. جل وتعالى عن ذلك علوا كبيرا](2).

والمحاسبى بهذا النص يثبت أن لله سبحانه وتعالى صفات وصف الله بها نفسه وأخبر ذلك رسله وأن هذه الصفات والأسماء لا يجوز فيها النسخ كما أن هذه الصفات والأسماء لا يمكن معرفتها إلا عن طريق رسله وأنبيائه فهو يقول [ولم تكن الرسل لتعرف صفاته](3).

ويقول فى موضع آخر [ثم تكلم بذلك تكليما بذاته فأكد عليهم بحجة بكلامه وأختار إرسال الأنبياء من عباده فأرسلهم بكلامه ووصف لهم صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى](4).

---

(1) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٤٠ .

(2) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٣٢ .

(3) المرجع السابق ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(4) المرجع السابق ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

ويذكر الإمام الأشعرى أن المحاسبي من الذين أثبتوا صفات الله سبحانه وتعالى حيث يقول عند حكايته لرأى الكلابيه أصحاب عبد الله بن كلاب [وقال قائلون إن البارى سبحانه ليس بغير صفاته وصفاته متغايرة قول حارث](١).

ويفصل الإمام الشهرستانى ذلك بقوله [إعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبوت لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات العقل بل يسوقون الكلام سوقا واحداً وكذلك يكتبون صفات حبرية مثل اليدين والرجلين ولا يؤلون ذلك إلا أنهم يقولون بتسميتها صفات حبرية ولـــا كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة](٢).

ثم بين الشهرستانى أن بعض السلف بالغ فى إثبات الصفات فأداه ذلك إلى القول بالتشبيه ومنهم من إقتصر فى إثباته على صفات الأفعال ومنهم من لم يتعرض للتأويل ولم يصل إلى تشبيه حيث يقول [وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولاتهدفوا للتشبيه فمنهم مالك إبن أنس .. وأحمد بن حنبل وسفيان وداود الأصفهانى حتى انتهى الزمان إلى عبدالله بن سعيد الكلابى وأبى العباس القلانس والحرث بن أسد المحاسبى وهؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية](٣).

بعد هذا لابد من ذكر عدة استنتاجات :

أولا : أن الإمام المحاسبي من الذين أثبتوا صفات الله سبحانه وتعالى وهو بذلك يخالف المعتزلة الذين قالوا بنفى الصفات كما ذهب إلى ذلك العلاف والنظام.

ثانيا : أن المحاسبى فى إثباته الصفات لم يفرق بين صفات الذات وصفات الفعل وهذا هو منهج الإثبات القائم على التفويض والتسليم.

ثالثا : أن المحاسبي لما أثبت الصفات فهو يرى بأن الصفات غير الذات كما أنه يرى أن كل صفة من صفاته سبحانه تختلف عن الصفة الأخرى فالقدرة غير الإرادة غير العلم الخ وهذا معلوم من قول الإشعرى عنه.

رابعا : أن الإمام مالك بن أنس والإمام أحمد بن حنبل قد تحدثا فى علم

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعرى جـ ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) الملل والنحل للإمام الشهرستانى جـ ١ ص ٩٥ على هامش الفصل .

(٣) الملل والنحل الشهرستانى جـ ١ ص ٩٧ على هامش الفصل .

الكلام والإمام الشهرستاني لا يقول ذلك إلا إذا قد إطلع على مايثبت ذلك وهذا يعني أن الإمام إبن حنبل لما أنكر على المحاسبي التحدث في علم الكلام لم يكن المقصود به الإنكار لعلم الكلام ولكن المقصود به هو عدم التصريح بهذه المسائل للعوام.

قـــدرة اللـــــه

تحدث المحاسبي في جميع كتبه على أن الله متصف بجميع صفات الجلال والكمال والجمال ومن هذه الصفات التي يتصف بها الحق سبحانه وتعالى صفة القدرة على أن معرفة قدرة الله لا تكون إلا من خلال إطلاعنا على آثار هذه القدرة الموجودة في جميع الآفاق حيث يقول خلق الخلق لغير وحشة في إنفراد وأزلية ولا إستعانة بهم على مايريد من تدبير لكن أراد أن ينشر رحمته ويمن بفضله ويستخلص من يشاء من بريته فابتداء آثار القدرة وأحكم الصنع واتقن التدبير وابتداء بالطول ويعد بالمن فعم به عباده عدلا وأوسعهم فضلا](١).

ثم يقول في موضع أخر [فاستخص آدم وذريته فأخذ منهم الميثاق بما فطرهم عليه من العقول الرضية والألباب والفهم ليدبروا بها شواهد التدبير وأحكام التقدير فألزمهم بذلك حجة من عقولهم بما شاهدوا من إنشائه وإتقان صنعه في أنفسهم وفي جميع خلقه](٢).

ومانكره الإمام المحاسبي من إستدلال على إثبات القدرة لله سبحانه وتعالى هو بعينه الدليل الذي قال به علماء الكلام : يقول القاضي عبدالجبار [وتحرير الدلالة على ذلك (أنه قادر) هو أنه تعالى قد صح منه الفعل وصحة الفعل تدل على كونه قادر ... أما الذي يدل على أنه تعالى قد صح منه الفعل فهو أنه قد وقع منه الفعل وهو أجسام العالم .. ولو لم يصح لم يقع إذ الوقوع أمر زائد على الصحة..](٣).

إرادة الله سبحانه وتعالى :

تحدث المحاسبي عن صفة الإرادة حديثا وافيا وشرح الآيات القرآنية وناقش المعتزلة والروافض مناقشة عقلية فأبطل أدلتهم وفند حججهم فهو يقول في بداية

---

(١) فهم القرآن للمحاسبي ص ٢٦٤.
(٢) فهم القرآن للمحاسبي ص ٢٦٤.
(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ١٥١.

حديثه عن صفة الإرادة {وأما بعض أهل البدع فزعموا أن الإرادة إنما هي خلق حادث وليست بمخلوقة ولكن الله جل وعز بها كون المخلوق فزعمت أن الخلق غير المخلوق وأن الخلق هو الإرادة وأنها ليست بصفة لله من نفسه}(١).

وهو بذلك يعرض رأى العلاف من المعتزلة فهو الذى قد ذهب إلى هذا القول وكان معاصرا له آنذاك يقول الإمام الأشعرى مبينا رأى العلاف {القول فى أن الله مريد : إختلف المعتزلة في ذلك على خمسة أقوال فالفرقة الأولى منهم أصحاب أبى الهذيل : يزعمون أن إرادة الله غير مراده وغير أمره وأن إرادته لمفعولاته ليست بمخلوقه على الحقيقة بل هى مع قولها كونى خلق لها وإرادته الإيمان ليست بخلق لها وهى غير الأمر به وإرادة الله قائمة به لا فى مكان}(٢). ويقول {والفرقة الثالثة منهم أصحاب أبى موسى الردار فيما حكى أبوهذيل عن أبى موسى أنه كان يزعم أن الله أراد معاصى العباد بمعنى أنه خلى بينهم وبينها وكان أبو موسى يقول خلق الشىء غيره والخلق مخلوق لا بخلق}(٣).

على أنه يجب أن تعلم أن جمهور المعتزلة قد إتفق على أن الإرادة ليست بصفة لله من نفسه وأنها حادثة يقول القاضى عبدالجبار {وأعلم أنه مريد عندنا بإرادة محدثة موجودة لا فى محل}(٤). وسبب قولهم ذلك ماظنوه من أن القول بإرادة قديمة لله سيؤدى إلى تجويز التغير عليه لأن الموجودات تتعلق بالإرادة وهى متجددة ومتغيرة فلو كانت الإرادة قديمة لوقع التغير فى ذات الله سبحانه وتعالى.

وبعد أن رفض المحاسبى رأى المعتزلة فى الارادة نراه يرفض رأى الروافض والقائلين بالبداء حيث يقول {وجل الله أن يكون شىء حدث لغير إرادة منه وجل عن البداءات وتغلب الإرادات}(٥).

وذلك لأن الروافض قد قالوا بجواز البداء على الله {وأن الله تبدوا له البداوات وأنه يريد أن يفعل الشىء فى وقت من الأوقات ثم لا يحدثه لما يحدث له من البداء وأنه إذا أمر بشريعة ثم نسخها فإنما ذلك لأنه بدا له فيها وإن ماعلم أنه يكون ولم يطلع عليه أحد من خلقه فجائز عليه البداء فيه ومأطلع عليه عباده فلا يجوز عليه البداء فيه}(٦).

---

(١) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٤٢ . (٢) مقالات الإسلاميين للأشعرى جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٣) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ٢٦٧ .

(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبدالجبار ص ٤٤٠ .

(٥) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٤٢ . (٦) مقالات الإسلاميين للأشعرى جـ ١ ص ٢١٣

والروافض بهذا القول قد خلطوا بين النسخ والبداء إلا أن الحقيقة أن لكل منها معنى خاص به ولذا يفرض على المقام أن أعرف كل منهما .

فالنسخ في اللغة عبارة عن [التبديل والرفع والإزالة يقال نسخت الشمس الظل أى أزالته وفي الشريعة هو بيان إنتهاء الحكم الشرعي في حق صاحب الشرع وكان إنتهاؤه عند الله تعالى معلوما إلا أن في علمنا كان إستمراره ودوامه وبالناسخ علمنا انتهاؤه وكان في حقنا تبديلا وتغيرا](1) . ويعرف بأنه [تحويل العباد من شيء قد كان حلالاً فيحرم أو كان حراما فيحل أو كان مطلقا فيحظر أو محظوراً فيطلق أو كان مباحا فيمنع أو ممنوعا فيباح إرادة الإصلاح بالعباد](2) إذن فالنسخ خاص بالحكم الشرعي من حيث الحلال والحرام والحظر والاطلاق .. إلخ.

أما البداء فإنه يطلق على معنين : الأول هو الظهور بعد الخفاء : ومنه قوله تعالى {وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون} وقوله تعالى وبدالهم سيئات ماكسبوا } والثاني : هو : نشأة رأى جديد لم يكن موجودا ومنه قوله تعالى {ثم بدالهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين } أى نشأ لهم في يوسف رأى جديد هو أن يسجن سجنا وقتيا .

والظاهر أن هذا المعنى الثاني هو المناسب والموافق لرأى القائلين به - قبحهم الله - ولأن عبارات الذين قالوا بهذا الرأى جرت هذا المجرى في الاستعمال دون الاستعمال الأول : وكلا هذين المعنين مستحيل على الله تعالى لما يلزمها من سبق الجهل وحدوث العلم(3) .

وبعد أن رفض المحاسبي ماقاله المعتزلة والروافض فإنه يستدل على ثبوت صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم مثل قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ومثل قوله تعالى إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} ومثل قوله تعالى {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها .. } ويشرح هذه الآيات شرحا لا لبس فيه ولا غموض وهو في شرحه هذا يثبت أن الإرادة ثابتة له قبل حدوث الفعل ووقت حدوثه وبعد حدوثه وأن هذا الإثبات لا يؤدى إلى حدوث شيء في إرادته القديمة كما أنه لا يؤدى إلى القول بالبداء كما قالت

---

(1) التعريفات للجرجاني مطبعة الحلبي سنة ١٩٣٨ ص ٢١٥ .

(2) فتح المنان في نسخ القرآن للشيخ على حسن العريض ط ١ سنة ١٩٧٢ ص ٢٦ .

(3) فتح المنان في نسخ القرآن للشيخ على حسن العريض ط ١ سنة ١٩٧٢ ص ٢٦ .

الروافض حيث يقول فى ذلك [فإنه لم يزل يريد قبل أن يحدث الشىء أن يحدثه فى وقت إحداثه فلم يزل يريد إحداثه فى الوقت المؤخر فإذا جاء الوقت فهو أيضا يريد أن يحدثه فيه فبإرادته أحدثه فى ذلك الوقت الذي فيه أحدثه](1).

ثم بين أن إرادة الله دائمة قبل وجود الشئ وحين وجوده وبعد وجوده بقوله .

[فإرادة الله جل وعز دائمة لأنه مريد قبل الوقت الذي يحدث فيه المخلوقات وفى الوقت الذى أحدثه فيه فأراد بقوله جل وعز إذا أردناه إذا جاء الوقت الذى فيه وهو له قبل الوقت مريد فأوقع إذا على الإرادة وإنما أراد الوقت وهو مريد له أيضا فى الوقت](2).

ويذكر المحاسبى أن هذا النوع من التفسير للآية ليس بغريب وإنما العرب كانت تستخدم ذلك فى مخاطباتها وكأن ذلك دليل على استشهاده بلغة العرب فيما يذهب إليه حيث يقول :

[والعرب تفعل هذا فى مخاطباتها يقول الرجل لآخر متى تريد أن آتيك فيقول غدا فيسأله فى ظاهر المسألة عن وقت إرادته : وإنما يريد الوقت الذي فيه المجيء ويجيبه بالوقت الذى يجيء فيه ولو أجابة على ظاهر مسألته إذا قال متى تريد أجيئك ؟ لقال الساعة أريد أن تجيئني غدا . فأجابه المجيء وإنما سأله فى الظاهر عن وقت الإرادة وهو يريد وقت المجيء فأجابه عن معنى السؤال ولم يجبه عن ظاهر المسألة](3).

ثم بين بعد ذلك أن ارادة الله قديمة سواء وقع مراده فى الماضى أو أن مراده ماحصل بعد وسيحصل وأن ذلك لا يفيد حدوث شيء فى إرادته ولا يفيد القول بالبداء ويوضح المحاسبى ذلك عند شرحه لقوله تعالى [وإذا أردنا أن نهلك قرية] حيث يقول [وكذلك إذا أراد الله جل وعز وقت كون الشيء وأنزل ظاهر القول على الإرادة فقال جل من قائل [وإذا أردنا أن نهلك قرية يعنى الوقت الذى أردنا من قبل إذا جاء الوقت أهلكناها فيه فإنما أراد بقوله : إذا أردنا : إذا كان الوقت الذى أردنا أن نهلكهم فيه لا على البدء منه بإرادة أخرى وأراد تكوين الشيء إلى وقت معلوم لم يزل يريد أن يكونه فيه فلم يزل مريداً لهلاك القرى فى الأوقات التى يهلكها فيها فإذا أهلكها فبإرادة متقدمة منه بهلاكها فى تلك الأوقات التى أخذ هلاكها إليها

(1) المرجع السابق ص ٥٠ .

(2) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٤٣ .

(3) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٤٣ .

وبإرادة لم تزل أخر هلاك القرى إلى الوقت الذى لم يزل يريد أن يهلكها فيه](1).

وبذلك نرى أن الإمام المحاسبى أثبت الإرادة على أنها صفة له قديمة قائمة بذاته سبحانه وتعالى وأن تعلقات هذه الصفة بالحوادث لايدل على حدوثها بل إنه يجب علينا أن نفرق بين قولنا الله مريد ، أراد الله . فمعنى الأول هو اثبات صفة قديمة له قائمة بذاته أما قولنا : أراد. يريد. نريد فإن ذلك يدل على تعلق الإرادة بالحادث. وهذا هو بعينه مذهب أهل السنة يقول الإمام الرازى [ونحن نقول بأن مفهوم قولنا أراد ، يريد ، علم ، يعلم. يجوز أن يدخله الحدوث وإنما تقول الله تعالى صفة قديمة هى الإرادة وتلك الصفة إذا تعلقت بشئ تقول أراد ، ويريد وقبل التعلق لا تقول أراد إنما نقول له إرادة وهو بها مريد](2).

علـم اللـه سبحـانه وتعالـى

تحدث المحاسبى عن علم الله سبحانه وتعالى فى كتابه فهم القرآن وأفاض الحديث فى بيان أن العلم صفة قديمة أزلية ثابتة له سبحانه وتعالى بها يكون إنكشاف جميع الأشياء قبل وجودها وحين وجودها وبعد وجودها دون أن يلحق علمه بها أمر جديد حادث فعلم الله أزلى قديم وليس بحادث ولا يدخل هذا العلم فى دائرة التصور الذهنى بل لابد من الإيمان به إيمانا مطلقا لأن التصور الذهنى لايدخله إلا ماكان فى زمان أو مكان. أما بالنسبة لعلم الله سبحانه وتعالى فهو منزه عن الزمان والمكان ولذلك يجب على الإنسان كما يرى المحاسبى أن يؤمن بأن الله عالم بكل شىء صغيرها وكبيرها دون أن يسأل الإنسان كيف ومتى؟ ولكن يجب عليه أن يسلم بذلك تسليما مطلقاً .

ولقد استدل المحاسبى على ثبوت العلم له بالقرآن الكريم والعقل والفطرة وكأنه بذلك يريد أن يرد على المخالفين له فى المذهب والذين قد أثبتوا الحوادث بذاته سبحانه وتعالى فيرد عليهم موضحا تهافت أدلتهم وسفه عقولهم وهذا بين من شرحه لبعض أيات القرآن الكريم شرحا يتفق والعقيدة الإسلامية.

والمحاسبى حين يثبت العلم له فإنه يستخدم منهجا فريدا لم أجده عند أحد من السابقين عليه فهو يتدرج فى إثبات العلم على مراحل ثلاث : إثبات علم ماكان : إثبات علم ماسيكون إثبات علم ماهو كائن وهو فى إستدلالاته هذه يسير وفق منهج القرآن الكريم وتفهم العقل لهذه الآيات القرآنية فهما يدل على تعمقه وبعد نظره.

---

(1) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى جـ ٢٦ ص ٩٧ .

(2) نفس المرجع السابق جـ ٢٦ ص ٩٧ .

ويقول المحاسبي في إثبات علم ماكان له سبحانه وتعالى [وقد إمتدح الله جل وعز بعلم ماقد كان وماسيكون - ومالايكون أو كان كيف كان يكون فمدح نفسه بعلمه جميع الغيوب فقال جل من قائل : وربك أعلم بمن في السماوات والأرض : وقال وهو الله في السماء والأرض يعلم سركم وجهركم ، وقال : عالم الغيب والشهادة وقال علم الله أنكم ستذكرونهن : وقال علم أن سيكون منكم مرضى](١) فالمحاسبي بهذا النص يثبت علم ماكان وماسيكون ومالايكون له سبحانه وتعالى ثم يستدل على ثبوت علمه سبحانه وتعالى بما كان بالآيات القرآنية التي تتناسب وهذه الفكرة ثم يثبت علم ماسيكون لله بالآيات التي تتناسب أيضا مع هذه الفكرة حيث يقول [وأخبر بما لا يكون أو كان كيف كان يكون فقال عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقال لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فأخبر أنه قد علم أنهم لو نصروهم لولو الأدبار](٢).

ويبن المحاسبي أن هناك آيات في القرآن تفيد ظاهرها نفي العلم عن الله وذلك مثل قوله حتى يعلم ، ولما يعلم ، وليعلمن. إلا أنه يدفع هذا الوهم الخاطيء مثبتا العلم لله شارحا لمثل هذه الآيات حيث يقول [وإنما قوله حتى يعلم ولما يعلم وليعلمن إنما يريد حتى يراه فيكون معلوما موجوداً](٣).

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو مامعنى علم الله بالشيء قبل أن يكون ومامعنى علمه بالشيء بعد أن يكون وهل هذا يعني أن الحق سبحانه وتعالى يعلم الشيء أنه موجود معدوم في وقت واحد ؟ وهذا محال :

يدفع الإمام المحاسبي هذا التساؤل مستدلا على ماذهب إليه بالعقل حيث يقول [لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوماً قبل أن يكون ويعلمه موجوداً كائناً فيعلم في وقت واحد أنه معدوم موجود أنه قد كان وأنه لم يكن بعد وهذا المحال : وإنما لم يجز أن يقال يعلم الله أن الشيء قد كان لأن الشيء لم يكن بعد فإن الله جل وعز لا يجوز أن يكون جاهلا به أنه سيكون ...](٤).

ويستدل الإمام المحاسبي على ذلك بعلم البشر الذي قد سبقه جهل وحادث بعد أن لم يكن حيث يقول [وذلك موجود فينا ونحن جهال وعلمنا محدث قد علمنا أن كل إنسان ميت فكلما مات إنسان قلنا : قد علمنا أنه قد مات من غير أن نكون قبل

(١) فهم القرآن للمحاسبي ص ٣٣٩ .

(٢) فهم القرآن للمحاسبي ص ٣٣٩ .

(٣) فهم القرآن للمحاسبي ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٤) فهم القرآن للمحاسبي ص ٣٤٠ .

موته جاهلين أنه سيموت إلا أنا قد يحدث لنا العلم من الرؤية وحركة القلب إذا نظرنا إليه ميتا بأنه ميت . . . فكيف بالقديم الأزلى الذى لا يكون موت ولا نهار ولا شىء من الأشياء ألا وهو يخلقه ونحن لا نخلق شيئا](١).

فالمحاسبى أثبت علم البشر بما كان وإذا كان ذلك موجود للبشر فكيف بالقديم الأزلى القديم وقد فرق المحاسبى بين علم البشر وعلم الله سبحانه وتعالى بأنه علم البشر يسبقه جهل وعلم البشر حادث وجد بعد أن لم يكن موجوداً وعلم البشر يأتى بعد الروية وحركة القلب وعلم البشر لا يكون إلا فى دائرة الزمان والمكان والله عز وجل منزه عن هذه جميعها .

وبين المحاسبى أن علم الله غير مستأنف حتى ولو كان هناك مايدل على استئناف العلم من أى القرآن الكريم ويستدل على عدم استئناف علم الله بوجود الفعل المحكم منه سبحانه وتعالى ووجود الفعل المحكم منه سبحانه يدل على أنه صانعه والدليل على أنه صانعه لابد وأن يدل على أن الصانع لابد وأن يكون عالما بصنعته ، قبل صنعها يقول المحاسبى [وكذلك إذا تلوت قول الله تعالى : فليعلمن الله الذين صدقوا وقوله ولما يعلم اله الذين جاهدوا منكم فظاهر التلاوة على استئناف العلم من اله بجهاد المجاهدين وصدق الصادقين وكذب الكاذبين وجل الله أن يستأنف علما بشىء وكيف وكل شىء يكون فهو بكونه فلم يأت الا وقد تقدم العلم منه به وكيف يأتى وكيف يكون ولو لم يكن يعلم كيف يكون ماأحسن أن يكون أبداً لأنه من ليس له علم بما يريد أن بصنعه كيف يكن يحسن أن يصنعه ومن لم يحسن كيف يصنعه لم يقدر أن يصنعه](٢)

ويستدل المحاسبي على شرحه هذا لآيات القرآن الكريم بالفطرة التي يجدها كل إنسان فى نفسه تلك الفطرة التى تحكم بأن من لم يتعلم الكتابة لا يستطيع أن يكتب كتابا وكذلك من لم يتعلم الصنايع لا يستطيع أن يجيد صنعة ما وإذا كان الحق سبحانه وتعالى هو الخالق لهذا العالم وهو المدبر لجميع شؤنه فلابد وأن يكون عالما بهذا الخلق قبل خلقه له حيث يقول [وهذا نجده ضرورة فى فطرنا فلو لم نر كتابا قط ولم نحسن أن نكتب لم يجز لنا أن نكتب كتابا مؤلفا بمعانى مفهومه بالتخمين أبداً وكذلك جميع الصناعات من لم يرها فيعلمها أو توصف له فيعلمها لم يحسن أن يأتي بها أبدا فالله جل ذكره أولى بعلم مايكونه قبل أن يكونه](٣).

(١) فهم القرآن للمحاسبى ص ٢٤٠ .

(٢) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ . (٣) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٢٨ .

ولم يقف المحاسبي في إستدلاله على ثبوت العلم له عند النص والفطرة فقط بل أنه تعدى ذلك إلى دائرة العقل فيستدل بالعقل على ثبوت العلم له ومؤدى دليله العقلي هو أن الفعل المحكم المتقن في الصنع لا يستطيع أحدا أن يأتي به إلا إذا كان عالما به قبل أن يوجده وبديهة العقل تشهد بذلك وإذا كان الأمر كذلك وقد ثبت لدينا بما لا يقبل الشك أن فاعل العالم هو الله سبحانه فلابد أن يثبت أن هذا الفاعل الحكيم لابد وأن يكون عالما ويقول المحاسبي في ذلك {وقد يستدل على ذلك من عقولنا أن من فعل شيئا بحكمة فلم يفعله حتى كان عالما قبل أن يفعله فأتى به كما أراد أن يكون وقد علم كيف يجيء}(١).

وبذلك نجد أن الإمام المحاسبي قد أثبت العلم لله على أنه صفة أزلية قائمة بذاته تعالى وأن علمه سبحانه وتعالى شامل لجميع الأشياء في جميع حالاتها أي قبل كونها وحين تكونها وبعد تكوينها وهو بذلك يخالف المعتزلة الذين نفوا الصفات عن الله سبحانه وتعالى كما أنه يخالف الروافض الذين قالوا بأن الحوادث تلحق بذات الله سبحانه وتعالى وينبغي أن نشير هنا إلى نتيجتين أساسيتين :

النتيجة الأولى : أن المحاسبي في بحثه لصفة العلم لم يتحدث عن العلم كحديث الفلاسفة عنه وتقسيماتهم له بعلم كلي وعلم جزئي وعلم ولكنه تحدث عن علم الله سبحانه وبين أن علمه شامل لجميع الأشياء وذلك لأحد أمرين :

أ - إما لأن مقالات الفلاسفة في العلم لم تكن قد نقلت بعد إلى اللغة العربية ولذا فإن لم يطلع عليها ولم يتعرض لها في بحثه لصفة العلم.

ب - وإما لأنه يؤمن بأن علم الله لا يوصف بكونه كلي ولا جزئي وأن الكلي والجزئي إنما يوصف بها علم البشر أما علمه سبحانه فلا يوصف بكلي ولا جزئي.

النتيجة الثانية : يعتبر الإمام المحاسبي هو أول من وضع قاعدة «قياس الغائب على الشاهد» في استدلاله وذلك واضح في ضرب الأمثلة التي ساقها لبيان مايريد أن يصل إليه ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة قد استخدمها علماء الأصول وعلماء الكلام من بعده وتوسعوا فيها توسعا لا نظير له إلا أنه يكفي المحاسبي أنه كان أول من استحدث هذه الطريقة في استدلالاته وأنه لم يوجد أحد من السابقين عليه قد استخدم هذا المنهج الفريد في الاستدلال وبذلك فلا يكون الاشاعرة اتباع الإمام الأشعري ولا المعتزلة ولا الفلاسفة هم أول من استحدث هذه الطريقة كما ذهب إلى ذلك فضيلة الأستاذ الدكتور علي سامي النشار(٢).

(١) فهم القرآن للمحاسبي ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
(٢) انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور النشار ص ١٢٩ دار المعارف سنة ١٩٦٦ .

السمـــع والبصـــر

وبعد أن أثبت المحاسبي علم الله بما كان ومايكون وماهو كائن يثبت لله سبحانه صفتى السمع والبصر كما تحدث القرآن الكريم ويرد على المخالفين الذين أثبتوا له سمعا حادثا وبصرا حادثا وذلك من خلال تفسيره لبعض آيات القرآن.

فهو يثبت السمع والبصر لله سبحانه وتعالى حيث يقول {وكذلك قوله عز وجل إنا معكم مستمعون : ليس معناه إحداث ولا تكلف لسمع مايكون من المتكلم فى وقت كلامه وإنما معنى إنما معكم مستمعون ، وسيرى الله عملكم أى المسموع والمبصر لن يخفى على سمعى ولا على بصرى أن أدرك سمعاً وبصراً لا بالحوادث فى الله جل وعز وتعالى عن ذلك. وكذلك قوله إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله لا يستحدث بصراً ولا لحظا محدثا فى ذاته تعالى عن ذلك}(١).

وهذا التفسير لآيات القرآن والذى قال به المحاسبى هو بعينه الذي قال به الامام الرازى من بعده فالإمام الرازى يقول عند تفسيره للآية الأولى {إنا معكم مستمعون: فمن مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهر لكما عليه إذا أحضر واسمع مايجرى بينكما .. وإنما جعلنا الاستماع مجازا لأن الاستماع عبارة عن الاصغاء وذلك على الله تعالى محال : }(٢).

ويقول عند تفسيره للآية الثانية : {إنها تدل على كونه تعالى رائيا للمرئيات لأن الرؤية المعداة إلى مفعول واحد هى الابصار والمعداة إلى مفعولين هى العلم . . .

وههنا الرؤية معداة إلى مفعول واحد فتكون بمعنى الابصار وذلك يدل على كونه مبصراً للأشياء. . . }(٣).

ثم يعرض المحاسبى قول المخالفين له والذين أثبتوا له سمعا وبصرا حادثا وهم الروافض والمشبهة ويرد عليهم يقول المحاسبى فى عرض شبه المخالفين {وقد ذهب قوم إلى أن لله جل وعز إسماعا حادثا فى ذاته فذهب إلى مايعقل من الخلق أنه يحدث فيهم علة السمع مايكون من قول عند سمعه للقول لأن المخلوق إذا سمع الشىء حدث له عنه فهم مما أدركته أذنه من الصوت وكذلك ذهب إلى أن رؤية تحدث له}(٤).

---

(١) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٢٤ ، ٣٤٥ .

(٢) تالتفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى جـ ٢٤ ص ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق جـ ١٦ ص ١٤٩ .

(٤) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٤٥ .

والمحاسبي بهذا المعنى يريد أن يعرض رأى الروافض والمشبهة فهم الذين قد ذهبوا إلى هذا الرأى يقول الأشعرى عن الروافض [يزعمون أن ربهم على صورة الإنسان ... وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وأنه يسمع بغير مايبصر به وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم](1).

ويقول البغدادي فى بيان مذهب المشبهة [فأما المشبهة لصفاته بصفات المخلوقين فأصناف .. ومنهم الزرارية (قالوا) بحدوث جميع صفات الله عز وجل وأنها من جنس صفاتنا وزعموا أنه الله تعالى لم يكن فى الأزل حيا ولا عالما ولا قادراً .. وانما استحق هذه الأوصاف حيث أحدث لنفسه حياة وقدرة وعلما وارادة وسمعا وبصرا كما أن الواحد منا يصير حيا سميعا بصيرا مريدا عند حدوث الحياة والقدرة ...](2) ويرفض المحاسبي قول الروافض والمشبهة وينزه الله عز وجل أن تلحقه الحوادث أو أن يكون سمعه وبصره مثل سمع البشر وبصرهم بل أن المحاسبي يذهب إلى التسليم بأن الله سميع بصير وأنه سبحانه وتعالي لا تلحقه الحوادث لأن مايلحقه الحوادث فهو حادث فكيف وقد أثبت له القدم يقول المحاسبى [وهذا خطأ (يقصد قول الروافض والمشبهة) وإنما معنى سيرى . وأنا معكم مستمعون. أن السموع والمبصر لم يخف على عينى ولا على سمعى أن أدركه سمعا وبصرا لا بالحوادث فى الله جل وعز ومن ذهب إلى أنه يحدث له استماع مع حدوث المسموع وابصار مع حدوث المبصر فقد ادعى على الله عز وجل مالم يقل وإنما على العباد التسليم كما قال أنه عالم سميع بصير ولا يريد مالم يكن وإنما معنى حتى يعلم حتى يكون المعلوم وكذلك حتى يكون المبصر والمسموع ولا يخفى على الله عز وجل أن يعلمه موجودا ويراه ويسمعه موجودا بغير حدوث علم فى الله جل وعز ولا سمع ولا بصر ولا يعنى حدوثا فى ذات الله جل الله عن الحودث فى نفسه وتعالي عن البداوات فى علمه وارادته علوا كبيرا](3).والمحاسبى بنصه هذا يثبت التنزيه لله عن جميع صفات الحوادث وفى نفس الوقت يثبت الكمال المطلق لله الذى أثبته الحق لنفسه واذا كان هناك تعارض بين مافى العقل وبين صريح النص وجب على الانسان أن يعجز العقل ويسلم بما أتى به النص وهو الذى يعنيه بقضية التسليم أى أن التسليم لا يكون إلا عند تعارض العقل والنص.

---

(1) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ١٠٩ .

(2) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٧٢ .

(3) فهم القرآن للمحاسبى ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

صفـــة العلـــــو

إن صفة العلو - أى أن الله فى أعلى وأن الله فى السماء - مشكلة شغلت أذهان المسلمين فالمشبهة مثلا أثبتوا أن الله فى جهة وأنه مستقر على العرش وأنه سبحانه تجوز عليه النقلة من مكان إلى مكان. بينما كان المعتزلة الذين قاموا بتأويل مثل هذه الآيات والأحاديث التى تفيد ظاهرها ذلك تأويلا يتفق وعقيدتهم فى التنزية وقد اطلع المحاسبى على هذه المقالات التى كانت شائعة فى عصره ولم يعجبه مقالات المشبهة ولا الحشوية ولا المعتزلة لذلك كانت الخصومة قائمة بينه وبين أنصار هذه المقالات ولذلك نجده يذكر رأيهم أولا على أنه شبهة ثم يرد عليهم مستخدما فى رده هذا العقل واللغة والفطرة السوية لكي يثبت الحق ويدحض الباطل.

وإنصافا للحق فلابد من ذكر قاعدة هامة تفسر لنا أولا موقف الإمام المحاسبى من الآيات التى يوهم ظاهرها التشبيه.

هذه القاعدة هى أن الآيات التى وردت فى القرآن الكريم والتى يوهم ظاهرها التشبيه لها وجوه عدة يقول المحاسبى { ... والمتشابه له وجوه فمنه متشابه فى التلاوة من غير أن ينسخ بعضه بعضا ومنه متشابه لاختلاف أوقاته في الواجب وفى الكائن ما أخبر الله أنه كائن ومنه متشابه والمعاني مختلفة ومنه مقدم ومؤخر ومنه خاص وعام ومنه موصول ومفصول ومنه غريب اللغة ومنه مالايعرف معناه إلا بالسنة أو الإجماع ومنه مالايعرف معناه إلا بعد تلاوة مايأتى فى سورته.. }(١).

وبعد أن يبين الإمام المحاسبي الوجوه التى يكون عليها المتشابه فى القرآن الكريم يفصل القول فى قضية العلو والاستواء فيذكر الآيات التى تثبت العلو والاستواء ثم بين أن هذه الآيات منها ماهو مقطوع فلا يجب وصله ومنها ماهو موصول فلايجب قطعه وأن السبب الذى أوقع الخصوم فيما وقعوا فيه هو أنهم تصوروا أن جميع الآيات التى يوهم ظاهرها التشبيه على وجه واحد وبعضهـــم تصور أن بعض هذه الآيات ناسخة للبعض الآخر وكلا التصورين خطأ يقول المحاسبى.

{وأما قوله على العرش إستوى ، وهو القاهر فوق عباده ، آأمنتم من فى السماء، إذا لا يتقوا إلى ذى العرش سبيلا فهذه وغيرها مثل قوله إليه يصعد الكلم الطيب وقوله ثم يعرج إليه فى يوم فهذا مقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء ، منزه

(١) منهج القرآن ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

عن الدخول فى خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان فى هذه الآيات أن ذاته بنفسه فوق عباده)[1].

فالمحاسبى بين هنا أن الفوقية التى أثبتها الحق لنفسه ليست فوقية مكانية كما فهم المشبهة والحشوية ولكن الفوقية التى تفهم من الآيات فوقية المكانة يعنى أن الحق سبحانه فوق عباده بعلمه وأمره أى أن مكانة الحق أعلى من أى تصور أما عن قوله سبحانه الرحمن على العرش إستوى فإن المحاسبى قال إن الحق فوق العرش بذاته ولا يعنى ذلك دخول فى العرش.

وهذا القول من الإمام المحاسبى هو وسط بين طرفين فهو لم يسرف فى التأويل كما قال المعتزلة ففسروا الاستواء بالاستيلاء ولم يقف مع الحشوية فيفسر الاستواء بالجلوس والمماسة لما فى ذلك من التشبيه والتجسيد وإثبات الجهة لله ولكنه فسره بما يوافق الذات العلية فأثبت الاستواء ونفى التشبيه والتجسيد والجهة وهذا يعتبر بعينه هو قول الإمام مالك مع إختلاف العبارة لما قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وإذا كان المحاسبى قد فسر الفوقية بفوقية المكانة وفسر الاستواء بالاستواء مع اثبات التنزيه فهناك قضية ثالثة تتعلق بهذا الموضوع أيضا هى هل الله فى كل مكان بنفسه كما قالت الحشوية أم أن للمحاسبى رأى فى الآيات التى يفهم ظاهرها ذلك ؟.

يعرض الإمام المحاسبى رأى الحشوية أولا فيقول (وقد إدعى بعض أهل الضلال فزعموا أن الله جل وعز فى كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش)[2].

ثم يرفض المحاسبى رأى الحشوية ويبين موقفه من هذه القضية موقفا يتفق وعقيدته وذلك من خلال شرحه لقوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم مافى السماوات ومافى الأرض) الآية ويبين أن موقف الحشوية لاسند له وحقيقة الأمر أن بعض المتشابهات مقطوع فيجب أن تفهمه على ذلك وبعضها موصول لايمكن فهمه ألا بما قبله ومابعده فآيات الاستواء والعلو مقطوعة مفصولة وآيات أنه كائن فى كل مكان بنفسه موصولة ثم يفسر الآية بالعلم ويستدل على ذلك بسياق الآية وأن ذلك موجود بالنسبة للبشر فمن باب أولى أن تكون ثابتة لله حيث يقول (وأما الايات الاخر التى نزعو بها (يقصد التى إستدل بها الحشوية) فقد أبان الله جل وعز فى

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ .

(٢) فهم القرآن للمحاسبى ص ٣٤٨ .

تلاوتها أنه لايريد أنه كائن فى الأشياء بنفسه إذ وصلها ولم يقطعها كما قطع الكلام الذى أراد به كونه فوق العرش فقال عز وجل ألم تر أن الله يعلم مافى السماوات ومافى الأرض فبداء بالعلم وأخبر أنه مع كل مناج حيث وجد وختم الآية بالعلم وقال إن الله بكل شىء عليم فبداء بالعلم وختم بالعلم فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث ماكانوا لايخفون عليه ولا يخفى عليه مناجاتهم تفردوا أو اجتمعوا}(١).

فالمحاسبى فسر المعية هنا بالعلم بمعنى أن الله مع كل فرد مع كل قوم يعلمه لا يخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وماقاله المحاسبى هو ماذهب إليه الإمام الرازى أيضا فى تفسيره لهذه الآية يقول الإمام الرازى {المسألة التاسعة المراد من كونه تعالى رابعا لهم والمراد من كونه تعالى معهم كونه تعالى عالما بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلنهم وكأنه تعالى حاضر معهم ومشاهد لهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة}(٢)

ويقيم المحاسبى الدليل على ماذهب إليه من العقل فيبين أنه لو كان هناك نفر قد اجتمعوا فى مكان وأخذوا يتحدثون ويتناقشوا وكان هناك من ينظر اليهم من فوقهم ثم قال لهم أنا معكم أراكم وأسمع مناجاتكم كان صادقا فإذا كان ذلك ثابت فى الشاهد فمن باب أولى يكون للغائب ولله المثل الأعلى حيث يقول {ولو اجتمع قوم فى السفل وناظر اليهم فى العلو ويسمع كلامهم فقال إنى لم أزل معكم أراكم وأعلم مناجاتكم كان صادقا ولله المثل الأعلى عن شبه الخلق}(٣).

وقد يعترض على هذا التفسير للآية بأن ذلك خروج عن ظاهر الآية ويبين المحاسبى هذا الاعتراض الذى قال به الحشوية ويلزمهم الحجة البينة حيث يقول {فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة لأن موضع الأثنين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك وأقل من ذلك الواحد فهو معهم لا فيهم وماكان مع الشىء فقد خلا جسم منه وبان كل واحد بنفسه عن الآخر وهذا خروج عن قولهم لأن عندهم لا يخلو من الله سبحانه شىء أن يكون فيه بنفسه فقد تركوا قولهم على ظاهر التلاوة لأن الله تعالى قال معهم ولم يقل فيهم}(٤).

ويستدل المحاسبى بآيات كثيرة من القرآن الكريم لتثبت تنزيه الحق عن خلقه

---

(١) نفس المرجع ص ٢٥٢ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٢٩ ص ٢٣١ .

(٣) فهم القرآن ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٤) فهم القرآن ص ٢٥٣ .

وتثبت بطلان قول الحشوية [أن الله كائن فى كل شىء بنفسه] من هذه الآيات ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. وقوله [أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض وقوله تعالى وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله. وتثبت أن مثل هذه الآيات لايجب فصلها عما قبلها ولا عما بعدها بل يجب فهمها باتصال ماقبلها بما بما بعدها لأن الحق وصلها ولم يفصلها كما فصل غيرها من آيات الاستواء والفوقية وبذلك يستطيع الإنسان فهم المراد من قول الحق سبحان

ثالثا : موقف المحاسبى من نسخ الأخبار

بعد أن ذكر المحاسبى أن فى القرآن ناسخا ومنسوخا ورأى أنه على قارىء القرآن والمتدبرله معرفة ذلك قال : إن فى القرآن معنيين لا يجوز فيهما النسخ ومن قال بأنه يجوز فيهما النسخ فقد كفر - الأول صفات الله وأسماؤه : والثانى إخباره تعالى عما كان ويكون وقد إنتهينا من الحديث عن الذات ولصفات وبقى أن نقف معه فى بيان موقفه ممن جوزا وقوع النسخ فى الأخبار.

فالمحاسبى بين أن الذين قالوا بوقوع النسخ فى الأخبار هم بعض الروافض وبعض أهل السنة لا على سبيل العمد ولكن على سبيل الاغفال والسهو حيث يقول [وأما الأخبار فقد قال بعض الروافض أن الله عز وجل ينسخ أخباره. وقال قوم من أهل السنة ينسخ الأخبار لا على التعمد منهم ولكن عن الاغفال والسهو..](1).

ويحكى الأشعرى مذهب الروافض فيقول [واختلفت الروافض فى الناسخ والمنسوخ هل يقع ذلك فى الأخبار أم لا ؟ وهم فرقتان فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن النسخ قد يجوز أن يقع فى الاخبار فيخبر الله سبحانه أن شيئا يكون ثم لا يكون وهذا قول أكثر أوائلهم وأسلافهم...](2).

وبين المحاسبى أن الناسخ والمنسوخ لا يكون فى الاخبار أبدا لأن ذلك يقتضى تكذيب الحق سبحانه وتعالى وهو منزه عنه وأن الناسخ والمنسوخ لا يجوز أن يكون إلا فى الأحكام الممثلة فى الأمر والنهى والحدود والعقوبات فى أحكام الدنيا يقول المحاسبى [فالناسخ والمنسوخ لا يجوز أن يكونا إلا فى الأحكام فى الأمر والنهى والحدود والعقوبات فى أحكام الدنيا ولا يكون ذلك بدوات من الله عز وجل ولا إستفادة علم ولا رجوعا عن صدق ينسخ خبر ولا ابتداء بكذب ثم رجوعا إلى صدق جل وتعالى عن ذلك](3).

---

(1) فهم القرآن ص ٢٥٦ . (٢) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ١٢٥ .

(٣) فهم القرآن ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

وهذه القاعدة التي وضعها المحاسبي هي التي اتفق عليها الجمهور يقول الشيخ علي العريض [قال الجمهور لا يجوز النسخ في الاخبار سواء كانت ماضية أم مستقبلة لأن النسخ فيها كذب والشارع منزه عنه](١).

والقول بنسخ الأحكام لا يقتضي الجهل ولا يقتضي القول بالبداء كما تصور الروافض بل إنه سبحانه وتعالى [أمر بأمر وحكم بحكم وهو يريد أن يوجه إلى وقت ويريد أن يأمر ويتركه بعد ذلك الوقت لم يزل مريدا للفعل الأول إلى الوقت الذي أراد نسخه وأيجاد بدله إلا من المأمور به والحكم به وكلاهما لم يزل يريدهما ولم يبدله في الثاني ببدء ولا ينسخ أمره ولكنه ينسخ المأمور بمأمورية أخر ٠٠ وكلاهما كلامه لارجوعا عن قوله الأول](٢).

ويستدل المحاسبي على وقوع النسخ في الأحكام على وجوده في الإنسان ووقوعه منه بلا بدء منه ولا كذب ولا جهل بناءاً على قاعدة قياس الغائب على الشاهد والتي قد وضعها المحاسبي فيكون ذلك في الحق سبحانه وتعالى أولى حيث يقول [وكذلك كل حكم نسخه حكم آخر فإنما جعل الثاني بدلا من الأول وذلك موجود بين العباد على تقدم الارادة منهم فيما أمروا به أولا ثم نهوا عنه وأمروا بغيره من غير بدء ولا جهل وذلك كأن يأمر الرجل غلامه ليعمل في أرضه وهو يريد أن يعمل فيها وقت الزراعة ثم يصرفه بعد ذلك إلى خدمته في منزله وكلاهما قد تقدمت به الإرادة منه من غير بدء منه ولا كذب ولا جهل فكيف بالاله الواحد القهار الذي يعلم عواقب الأمور كلها ولا تبدوا له البداوات ولا تحل به الحوادث ولا تعقبه الزيادة والنقصان](٣).

وبعد أن أبطل المحاسبي قول الرافضة وهدم مذهبهم يتجه بعد ذلك إلى مناقشة الكلبي من أهل السنة حيث إنه ذهب إلى جواز النسخ في الأخبار ويلتمس المحاسبي له العذر فبين أن قوله هذا لا على العمد ولكنه على سبيل السهو والغفلة فيذكر الآيات التي استدل بها على جواز وقوع النسخ في الاخبار ثم فساد قول الكلبي ويذكر الوجهة الحقيقية مستدلا على مايذهب اليه بالنص مرة وبالعقل مرة أخرى وباللغة ثالثة حيث يقول [قال الكلبي انه لما نزلت إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم نسخها بقوله : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى](٤).

ويرى المحاسبي أن القول بنسخ هذه الآية يقضي أن يعذب الله عزيزاً والملائكة

---

(١) فتح المنان في نسخ القرآن ص ٦١ . (٢) فهم القرآن ص ٣٦٠ .
(٣) فهم القرآن ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ . (٤) فهم القرآن ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

وعيسى ومعاذ الله أن يعذب أوليائه ويرى أن هذه الآية من الأخبار الخاصة لا العامة حيث يقول [فلما أنزل آية العذاب لم يرد بها من تقدم منه القول بولايتهم وإنما أراد من عبدوا سوى أوليائه وكان خبرا خاصا لا عاما كما قال الله جل وعز إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ولم يرد الكافرين إذ لم يتوبوا لأنه قد تقدم فيهم أخبار أنه لا يغفر لهم إن لم يتوبوا](١).

على أن الإمام الرازى يرى وجها آخر لفهم هذه الآية حيث يقول [روى أنه عليه السلام دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفحمه ثم تلا عليهم إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم الآية فأقبل عبدالله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبدالله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال إبن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزاً والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة (فرد الرسول على إبن الزبعرى بقوله ماأجهلك بلغة قومك مالما لا يعقل أى أن العرب جعلوا من للعقلاء ومالغيرهم وعزيز والأنبياء والملائكة من العقلاء فلا يشار إليهم بما](٢).

ويرى الإمام الرازى أن سؤال بن الزبعرى ساقط من وجوه(الأول أن قوله إنكم خطاب مشافهة وكان ذلك على مشركى مكة وهم كانوا يعبدون الأصنام فقط وثانيهما أنه لم يقل ومن تعبدون بل قال ماتعبدون وكلمته مالاتتناول العقلاء .. وثالثهما أن من عبد الملائكة لا يدعى أنهم إلهة .. ورابعها هب أنه ثبت العموم لكنه مخصوص بالدلائل العقلية ...](٣).

ثم يذكر المحاسبى موضعا آخر استدل به الكلبى وأصحابه على جواز وقوع النسخ فى الأخبار وهو قوله تعالى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض فهذه الآية منسوخة بقوله «فأعفر للذين تابوا وأتبعوا سبيلك» ويدفع المحاسبى هذا الزعم بقوله [ولكنه أخبر أو لا بخبر كان ظاهره على العموم وهو خصوص ولم يرد أولا فى خبره أنهم إستغفروا لأهل الأرض كلهم ثم رجع فأخبر أنهم استغفروا للتائبين دون غيرهم : هم لم يستغفروا قط إلا للتائبين ولم يرد بخبره

(١) فهم القرآن ص ٢٥٧ .

(٢) مفاتيح الغيب جـ ٢٢ ص ١٩٣ .

(٣) المرجع السابق جـ ٢٢ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

عنهم إلا التائبين ولكنه أخيرا أولا وكان ظاهر خبره على العموم وإنما أراد بمن فى الأرض من التائبين ثم بين فى الخبر الثانى من أراد . . . }(٣).

وإلى هذا الرأى يذهب الفخر الرازى فى تفسيره حيث يقول {فإن قيل كيف يصح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار وقد قال تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين ومستغفرين لهم قلنا الجواب عنه من وجوه : الأول أن قوله بمن في الأرض لا يفيد العموم .. الثاني هب أن هذا النص يفيد العموم إلا أنه تعالى حكى عن الملائكة في سورة حم المؤمن فقال ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الثالث يجوز أن يكون المراد من الاستغفار أن لا يعاجلهم بالعقاب كما في قوله تعالى إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا . . . الرابع يجوز أن يقال إنهم يستغفرون لكل من في الأرض إما في حق الكفار فبواسطة طلب الإيمان لهم وأما في حق المؤمنين فالتجاوز عن سيئاتهم . . . }(١).

رابعا : موقف المحاسبى من قضية خلق القرآن

إن الحديث فى مسألة القرآن وكلام الله من أهم المشاكل التى عرضت لفكرى الاسلام وقد أثارت ضجة كبيرة فى صفوف العلماء والعامة وارتبطت بها محنة كبيرة تعرف بمحنة الامام أحمد بن حنبل وكان شعار النظريتين المتنازعتين هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ فذهب المعتزلة إلى إعلان القول بخلق القرآن بينما ذهب الفريق الآخر إلى أنه قديم غير مخلوق وراح ضحية هذه المسألة الكثير.

وكان لابد على المحاسبى وهو يشهد هذه المعركة التى لا نظير لها أن يدلو بدلوه وأن يبين رأيه فى هذه المسألة.

والمحاسبى فى إطار حديثه عن النسخ يبين أن المعتزلة يتفقون معهم فى قولهم بأن النسخ لا يقع في الاخبار ولكنهم قد ضلوا لما قالوا بخلق القرآن حيث يقول عنهم {ولقد جامعنا قوم من أهل الضلال فى ذلك لئلا يقع النسخ من الله عز وجل فى أخباره ومدحه وإنما يقع النسخ فى أحكامه ثم جهلوا إذا أرادوا أن يقووا قولهم بأن كلام لمن مخلوق}(٢).

ويوضح القاضى عن الجبار مذاهب العلماء فى قضية خلق القرآن فيقول {فقد إختلف الناس فيه إختلافا كبيراً فذهب الحشوية النوابت من الحنابلة أن هذا القرآن

(١) فهم القرآن ص ٣٥٨ .

(٢) مفاتيح الغيب جـ ٢٧ ص ١٢٦ .

(٣) فهم القرآن ص ٣٦٣ .

المتلو فى المحاريب والمكتوب فى المصاحف غير مخلوق ولا محدث بل قديم مع الله تعالى وذهب الكلابية إلى أن كلام الله تعالى هو معنى أزلى قائم بذاته مع أنه شيء واحد توراة وأنجيل وزبور وفرقان .. وأما مذهبنا فى ذلك فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وهو مخلوق محدث](١).

ويوضح الإمام الاشعرى مذهب المعتزلة فى هذه المسألة فيقول [إختلف المعتزلة فى كلام الله سبحانه هل هو جسم أم ليس بجسم وفى خلقه على ستة أقاويل. فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن كلام الله جسم وأنه مخلوق وأنه لاشيء إلا جسم والفرقة الثانية منهم يزعمون أن كلام الخلق عرض .. وأن كلام الخالق جسم .. والفرقة الثالثة من المعتزلة يزعمون أن القرآن مخلوق لله وهو عرض وأبو أن يكون جسما .. والفرقة الرابعة منهم يزعمون أن كلام الله عرض وأنه مخلوق وأحالوا أن يوجد فى مكانين فى وقت واحد والفرقة الخامسة منهم يزعمون أن القرآن عرض والفرقة السادسة منهم يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق وأنه يوجد فى أماكن كثيرة فى وقت واحد...](٢).

وبهذا البيان الذى بينه الاشعرى نجد أن جميع المعتزلة بلا استثناء قد اتفقوا على أن القرآن مخلوق وأنه صفة فعل له وليس صفة ذات لذلك كان بحثه فى باب العدل عندهم وقد استدل المعتزلة على خلق القرآن بالعقل والنص يقول القاضى عبدالجبار [إن القرآن يتقدم بعضه على بعض ومالهذا سبيله لا يجوز أن يكون قديما إذ القديم هو مالايتقدمه غيره .. ولأنه سور مفصلة وآيات مقطعة له أول وآخر ونصف وربع وسدس وسبع ومايكون بهذا الوصف كيف يجوز أن يكون قديما وقد وصفه (الله) بأنه محدث ووصفه بأنه منزل والمنزل لا يكون إلا محدثا وفيه دلالة على حدوثه من وجه آخر ...](٣). على أن القاضى قد ساق أكثر من عشرة أدلة على خلق القرآن منها العقلى ومنها السمعى والمقام لا يسمح بذكرها جميعا ولكنه قد استدل بالقرآن على أنه مخلوق حيث يقول (على أن كتاب الله عز وجل يدل على حدوث كلامه لأنه تعالى قال بعد أن بين أن الذكر هو القرآن بقوله إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله عز وجل وهذا ذكر مبارك أنزلناه. وقوله إن هو إلا ذكر وقرآن مبين. أن الذكر محدث بقوله : مايأتيهم من ذكر من

(١) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ٢٦٧ ، ٢٦٩ .

(٢) مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ٢٦٧ ، ٢٦٩ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٥٣١ وما بعدها ، المغنى فى أبواب التوحيد جـ ٧ ص ٨٤ وما بعدها .

ربهم محدث. مايأتيهم من ذكر الرحمن محدث. وهذا نص في حدوث كلامه[1].

والمحاسبي في مناقشته للمعتزلة لم يعرض جميع أدلتهم التي ساقوها على خلق القرآن ولكنه يعرض دليلان فقط لهم وهذان الدليلان هما المتعلقان بقضية النسخ فقط ويرد عليهم رد الفاهم لها العاقل بكنهها.

الدليل الأول : وقوع النسخ في القرآن حيث إن المعتزلة قد ذهبت كما يرى المحاسبي إلى أن ماوقع فيه النسخ فهو مخلوق [حيث يقول [وكان مما استدلوا به أنه كلام مخلوق أنه ينسخ بعضه ببعض. قالوا ولو لم يكن مخلوقا ماجاز عليه النسخ والتبديل][2].

ويوضح القاضي عبدالجبار هذه المسألة بقوله [وكل ماورد في كتاب الله عز وجل مما يدل على أن الله تعالى بغير القرآن أو بعضه أو يقدر عليه أو يبدله بغيره أو يقدر على مثله أو يأتي بمثله أو يجتزىء منه كقوله {لو كان البحر مدادا} الآية وقوله تعالى {ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده} الآية وقوله عز وجل {مانسخ من آية} إلى ما شاكلها يدل على حدوثه لان كل هذه الصفات تستحيل على القديم..][3].

وبعد أن بين المحاسبي هذا الدليل فإنه يتوجه بعد ذلك إلى هدمه وإبطال الاستدلال به وأن المعتزلة قد جهلوا المعنى وأخطأوا في التأويل حيث إن حقيقة النسخ هي رفع حكم واثبات حكم آخر وهذا لا يقتضي أبدا نسخ كلام بكلام آخر بل الجميع كلامه والمعتزلة يقولون بذلك في معنى النسخ[4] ألا أنهم قد أخطأوا في تطبيق هذه القاعدة يقول المحاسبي [وقد جهلوا المعنى وجاروا عن الحق لأن الله عز وجل لم ينسخ كلامه بكلام وإنما ينسخ مأمورا به بمأمور به آخر فأبدل أحدهما مكان الآخر وكلاهما كلامه وإنما ينسخ كلامه الأول بكلام منه ثان الكاذب الراجع عما قال فأما إذا كان جميعا منه فهما حق وصدق][5].

وبين المحاسبي أن النسخ هو تغير الحكم الشرعي في مسألة ما لمصلحة العباد وأن هذا التغير في الحكم لا يقتضي أبدا تغير كلام الله حيث يقول [فإنما أمرهم بمأمور أوجبه ثم رفعه وبدله بمأمور آخر ألزمهم القيام به وكلاهما كلامه أوجبهما

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني جـ ٧ ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) فهم القرآن ص ٣٦٤ .

(٣) المغني جـ ٧ ص ٨٩ .

(٤) انظر تعريف النسخ في شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٥٨٤ .

(٥) فهم القرآن ص ٣٦٤ .

في وقتين مختلفين فالله عز وجل لم يأمر العباد أن يفعلوا كلامه ثم يأمرهم أن يفعلوا كلاما له ثانيا بدلا من الأول وانما أمرهم بعمل يعملونه ثم بدل لهم عملا آخر لزمهم إياه ونسخ الأول وجعل الثاني مبدولا به}(١).

ويستدل المحاسبي على ذلك بقوله تعالى : لامبدل لكلماته وقوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله فالمحاسبي يرى أن كلمات الله لا تتبدل ولا تتغير وانما الذى يتغير هو الحكم الشرعي الذي وردت به الآية وكأن المحاسبي يرى أن النسخ هو نسخ الحكم فقط أما القول بنسخ التلاوة فواضح من مذهبه لأنه لا يقول بذلك حيث يقول {ألم تسمع الله عز وجل يقول لا مبدل لكلماته وقال يريدون أن يبدلوا كلام الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم لن تخرجوا معي أبدا ولم يقل لهم إن الله حرم عليكم الخروج معي ولم يقل أبداً فيكونوا إذا أرادوا الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يعصوا الله ولا يكونوا مبدلين كلام الله ولكن الله عز وجل أمر نبيه أن يخبرهم أنهم لا يخرجون معه أبداً ولا جائز أن يخرجوا معه أبداً لأن هذا القول من الله عز وجل خبر منه أنه لا يدعهم يخرجون مع نبيه عليه السلام أبداً .. ولو أذن الله لكان هذا تبديلا لكلامه الأول وكان هذا كذبا وجل ربنا وتعالى عن ذلك}(٢).

والمحاسبي بعد ذلك يوضح قاعدة هامة فى النسخ هي أن النسخ يكون فى حكم الآية لا في نصها حيث يقول {والكلام الذى نهاهم به أولا كلام له واجب على العباد أن يؤمنوا به أنه حق وأنه من القرآن من كفر به فهو كافر ومن آمن به فهو مؤمن وأن عليهم أن لا يخرجوا جميعا من حفظه ... ولا يجوز أن يسقط من القرآن فلا يقراء ولا يتلى وإنما سقط فرض الآية وثبت نصها والنص حق وصدق وإنما بطل الفرض ولم يبطل النص}(٣).

الدليل الثاني : وبعد أن بين المحاسبي تهافت الدليل الأول للمعتزلة ورد عليه رد الفاهم له يعرض لهم دليلا آخر ويرد عليه.

وهذا الدليل الثاني يقوم على تفسير المعتزلة لقوله تعالى [مانَنسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير : الآية فهم يذهبون إلى أنه ماجاز أن يكون بعض خير من بعض فهو مخلوق وماكان له مثل

---

(١) فهم القرآن ص ٣٦٤ .

(٢) فهم القرآن ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٦ .

فهو مخلوق : يقول المحاسبي في عرض هذا الدليل للمعتزلة [وكان مما احتجوا علينا به في ذلك قول الله جل من قائل ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها. فقالوا ماجاز أن يكون بعضه خير من بعض فهو مخلوق لأنه إذا كان شيء خير من شيء فقد فضله والاخر منقوص وقال أو مثلها قالوا وماكان له مثل فهو مخلوق لأن المثل يشتبه بمثله وماجاز أن يأتي به الله جل وعز فيحدثه فهو مخلوق وكل مخلوق فمثله مخلوق لأن حكم المثل حكم مثله](١).

وبعد أن ذكر المحاسبي وجهة نظر المعتزلة لهذه الآية فإنه يتوجه لدفع هذا التأويل وبين أن معنى الخيرية في الاية ليس كما فهموا أية خير منها وتكون الأولى أنقص منها فذلك جهل بمراد الله إنما الخيرية التي وردت في الآية هي خيرية المأمور به في الآية الثانية فإن المأمور به ثانيا أخف وأصلح للعباد من المأمور به أولا ويقيم المحاسبي على ذلك مايؤيد فهمه للآية على هذه الوجهة من القرآن الكريم حيث يقول [وجهلوا التأويل إنما قوله جل وعز نأت بخير منها. بخير بمأمور به هو أوسع لكم وأخف عليكم أو مثله في الخفة والسعة وكذلك قوله عز وجل من جاء بالحسنة فله خير منها لا يعني خيراً من التوحيد وانما يعني له منها خير كما يقال الدراهم خير من المال. لا يريد أفضل من المال وإنما يريد الدراهم من المال خير](٢).

وبعد أن استدل المحاسبي من القرآن والعقل على فهمه للآية نراه يتوجه إليهم بعد ذلك لبطلان مذهبهم في هذه القضية ويلزمهم الحجة التي لا يستطيعون أن يقولوا بعدها شيء حيث يقول [ومما يدل على بطلان قولهم أن قائلا لو قال ترك قيام الليل أن يكون علينا واجبا هو أرفق بنا وأوسع من قبل إتساعه لنا كان صادقا

---

(١) فهم القرآن ص ٢٦٨ = وقد بحثت في بعض كتب المعتزلة والموجودة فلم أعثر على هذا التفسير الذي ذكره المحاسبي له والزمخشري في الكشاف والقاضي عبدالجبار في تنزيه القرآن عن المطاعن يشرحان الاية ويقولان بالنسخ ولا يستدلان بالاية على خلق القرآن : إلا أني أرى أن المحاسبي ربما إطلع على تفسير أخر للمعتزلة يشرح هذه الاية كما ذكرها ويؤيد ذلك ماذكره الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية مانصه [إستدلت المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن مخلوق من وجوه أحدهما أن كلام الله لو كان قديما لكان الناسخ والمنسوخ قديمين لكن ذلك محال لأن الناسخ يجب أن يكون متأخراً عن المنسوخ والتأخر عن المنسوخ يستحيل ان يكون قديما وأما المنسوخ فلأنه يجب أن يزول ويرتفع وماثبت زواله إستحال قدمه بالاتفاق ...] الفخر الرازي مفاتيح الغيب حـ٣ ص ٢١١ وكل ماذكره القاضي عبدالجبار هو استدلاله بالاية خلق القرآن ضمن ما استدل به من الأدلة القرآنية على قضية خلق القرآن - أنظر المغني حـ٧ ص ٨٩.

(٢) فهم القرآن ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

ولو قال إن قوله «فاقرؤا ماتيسر منه» خير من قوله يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا» فأراد أن الكلام الآخر من الله جل ذكره خير وأفضل والكلام الأول انقص وأدنى : كان كافرا بالله عز وجل إذا ازدرى كلام الله وزعم أنه منقوص دنى](١).

وبعد أن بين المحاسبى فساد قول المعتزلة وألزمهم الحجة التى لا مناص عنها والحق الذى لا ريب فيه نجد أن الإمام الرازى يذكر فى تفسيره ردا آخر على المعتزلة لقولهم بخلق القرآن واستدلالهم بهذه الآية على قضية الخلق حيث يقول بعد أن أورد شبههم مانصه [أجاب الأصحاب بأن كونه ناسخا ومنسوخا إنما هو من عوارض الالفاظ والعبارات واللغات ولا نزاع فى حدوثها . فلم قلتم إن المعنى الحقيقى الذى هو مدلول العبارات والاصطلاحات محدث : قالت المعتزلة ذلك المعنى الذى هو مدلول العبارات واللغات لاشك أن تعلقه الأول قد زال وحدث له تعلق آخر فالتعلق الأول محدث لأنه زال والقديم لايزال والتعلق الثانى حادث لأنه حصل بعدما لم يكن. والكلام الحقيقى لا ينفك عن هذه التعليقات ومالاينفك عن هذه التعلقات محدث وما لاينفك عن المحدث محدث والكلام الذى تعلقت به يلزم أن يكون محدثا : أجاب الأصحاب : أن قدرة الله كانت فى الأزل متعلقة بايجاد العالم فعند دخول العالم فى الوجود. هل بقى ذلك التعلق أو لم يبق ؟ فإن بقى يلزم أن يكون القادر قادرا على ايجاد الموجودات وهو محال. وان لم يبق فقد زال ذلك التعلق فيلزمكم حدوث قدرة الله على الوجه الذى ذكرتموه. وكذلك علم الله كان متعلقا بأن العالم سيوجد فعند دخول العالم فى الوجود إن بقى التعلق الأول كان جهلا وان لم يبق فيلزمكم كون التعلق الأول حادثا لأنه لو كان قديما لما زال ويكون التعلق الذى حصل بعد ذلك حادثا فإذن عالمية الله لا تنفك عن التعلقات الحادثة ومالا ينفك عن المحدثات محدث فعالمية الله محدثه. فكل ماتجعلونه جوابا عن العالمية والقادرية فهوجوابنا عن الكلام](٢).

وبهذا أبطل الامام الرازى أقوى دليل استدل به المعتزلة علي القول بخلق القرآن .

وبعد - فليست هذه هى كل المسائل التى بحثها المحاسبى فى كتابه فهم القرآن - فهناك مسائل كثيرة تناولها فى هذا الكتاب مثل الوعد والوعيد والجنة والنار والمعاد والشفاعة .. الخ ولكن المقام لا يسمح بذكر هذه المسائل كلها لذلك فسأكتفى بذلك على أننى سأعود لاكمال ذلك في بحث مقبل إن شاء الله تعالى .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٩ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازى جـ ص ٢١١ .

واستطيع أن أقول بعد ذلك بأن المحاسبي في بحثه لمسائل علم الكلام لم يخرج عن نطاق النص الإلهي سواء كان قرآنا أو سنة بل إنه إتخذ منهج السلف الصالح في إثبات العقيدة الإسلامية ودفع شبه المعارضين يقول الدكتور أبوريدة {وأول من أسس مذهبا يستند إلى نصوص الوحي وإلى الحديث الشريف وحارب المعتزلة . الحارث ابن أسد المحاسبي ...}(1).

والمحاسبي بحق هو أول من أسس مذهبا كلاميا على عقائد صحابة رسول الله والسلف الصالح فهو لم يسرف في التأويل ولم يقف جامدا أمام النص فيصل إلى التشبيه بل أنه كان يستأنس بالعقل ويستعين به في فهم النص مع التفويض والتسليم فيما يستشكل على العقل فهمه وتلك هي العقيدة الإسلامية كما يجيب أن يعتقدها المسلمون اليوم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د / راشد محمد راشد سليمان

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة
الإسلامية بالمنوفية

---

(1) تاريخ الفلسفة في الاسلام لديجور نقله إلى العربية وعلق عليه د/محمد عبدالهادي أبوريدة ط ٤ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر هامش ص ٩٨.